فلسفة الطب ومنهج البحث فيه عند الأطباء الأندلسيين

د. جعفر يايوش

جامعة عبد الحميد بن باديس–مستغانم

المقدمة:

إنّ التراث حقيقة تاريخية لا سبيل إلى الانفكاك منها، وإن بدت ظاهريا بائنة ومنفصلة من حيث الوجود بحكم ارتباطها بالزمن الماضي. ومن ثمّة يمكن إدخالها تحت مسائل الكمّ المنفصل؛ فهي في جوهرها وحقيقة وجودها، متّصلة تحيط بنا من كلّ جانب. كلّ دائرة من دوائر اتّصالها تبدأ بنقطة وتنتهي عند نقطة جديدة لتكوّن دائرة أخرى، وهكذا يمكن إدخالها تحت مسائل الكمّ المتّصل بسبب الحركة التداوليّة للتاريخ.

وما كثرة الأعمال التقويمية المشتغلة بالتراث، إلا دليل قاطع على ملازمة هذا الماضي لنا، ومن ثمّة إدراك مدى الأهميّة التي يحتفي بها التراث، ولكن لماذا ندرس هذا الأثر الذي انقضى زمن وقوعه ؟ وما هي الآليات التقويميّة التي نوظّفها في دراسة من هذا النوع ؟

للجواب على هذين السؤالين لا بدّ أن نحدّد مجال ونوع الدراسة التراثيّة التي نودّ الكشف عن أطرها وأسسها المعرفيّة.

مجال الدراسة هو تاريخ العلوم في الحضارة العربيّة الإسلاميّة، ونوع العلم الذي هو محطّ أنظارنا والذي نريد إخضاعه لأدوات البحث والتنقيب هو علم الطبّ، وبما أنّ التقويم للنصّ التراثي هو عمليّة نقديّة لمضامينه ووسائله؛ فالبحث في تاريخ أيّ علم من العلوم، أو استقراء مراحل تطوّره عبر حضارة ما، لهو إعادة تركيب البناء المنطقي وصياغة الجهاز المفاهيمي لإنسان تلك الحضارة من خلال الوقوف على العلّة الأولى التي وجّهت المسار وحدّدت الغاية!..

والبحث في موضوع من التراث، هو عمل نقدي لمضامين النصّ التراثي واختبار لوسائله المنتجة له، وهذا يعني أنّ التوصّل لفهم المضمون لا يتمّ إلاّ بتحديد الآليات الإنتاجيّة أو الأصليّة، والإحاطة بالكيفيّات العامّة والخاصّة التي تدخل في بناء هذه المستويات المضمونيّة[1]، بمعنى ألاّ نبتعد عن الإطار العامّ للحضارة العربيّة الإسلاميّة، وألاّ نجزّئ الموضوع إلى قطع متناثرة غير متّصلة.

[1] د. طه عبد الرحمن: تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 1994 م، ص 23.

وعليه؛ فإنّ « تاريخ العلوم يزيد من حظوظنا في اكتشاف أسس التفكير العلمي واتّجاهاته »، إنّه « المقدّمة الطبيعيّة لفلسفة العلوم »، كما قال بيير بوترو[2].

ويميّز بيير بوترو بين أربعة أنواع من تاريخ العلم[3]:

[1. هناك أوّلا البحث الوثائقي، جمع النصوص المتعلّقة بمنهجيّة العلماء القدامى منهم والمحدثين و(...) هذا البحث الوثائقي عمل تمهيدي لتاريخ العلم هدفه جمع الوسائل الضروريّة لبناء تاريخ العلم المطلوب.

2. وهناك ثانيا العمل الذي يقوم به الشخص الذي يجمع سلسلة النظريّات والفروض العلميّة التي وضعها العلماء خلال مختلف العصور وإلقاء الضوء عليها. « إنّ تاريخ العلم بهذا المعنى سيكون في معظمه تاريخا للأخطاء الإنسانيّة، وهو مفيد جدّا للفيلسوف ولمؤرّخ الحضارة. ولكنّه لا يفيد شيئا رجل العلم إلاّ إذا كان الأمر يتعلّق بتحذيره من الوقوع في نفس الأخطاء التي وقع فيها أسلافه العلماء »[4].

3. وهناك من جهة ثالثة مفهوم آخر لتاريخ العلم جدّ شائع، وهو التاريخ الذي يهتمّ بالبحث عن « وطن » للاكتشافات العلميّة الكبرى.

4. وهنا نصل إلى النوع الذي يهمّ الدراسات الابستيمولوجيّة من أنواع تاريخ العلم، إنّه التاريخ الذي يساعد على تبين أسس الفكر العلمي والذي يعتمد المنهج التاريخي – النقدي، ويهدف إلى دراسة التيّارات الكبرى للفكر العلمي، مع إعطاء كلّ ظاهرة أو اكتشاف مكانه في هذه التيّارات، ناظرا إليه من زاوية الطريقة التي يتمّ بها -هذا الاكتشاف- والدلالة التي يكتسبها بالنسبة للأبحاث التي تليه. هذا النوع من تاريخ العلم يدخل -كما يقول بوترو- فيما يمكن أن نطلق عليه « التاريخ الفلسفي للعلم »[5]].

والذي يهمّنا في دراستنا هو الضرب الثاني والضرب الرابع من أنواع تاريخ العلم التي حدّدها بوترو، لأنّ المؤرّخ لتاريخ العلوم يهمّه بالدرجة الأولى الكشف عن الكيفيّة التي أصبح بها ذلك الاكتشاف العلمي أو تلك النظريّة جزءا من بنية فكريّة جديدة في سياقها التاريخي، وهذا هو « التاريخ الذي يربط الاكتشافات أو التيّارات العلميّة، لا بمختلف الفلسفات الميتافيزيقيّة التي استندت عليها، بل بالفكر العلمي وبتطوّر العلم ذاته »[6]، وعليه فعملنا ينهج طريقين للوصول إلى حقائق الأشياء، ندرس من جانب تطوّر

---

[2] د. محمد عابد الجابري: مدخل إلى فلسفة العلوم، الجزء الأول، تطور الفكر الرياضي والعقلانية المعاصرة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط 2، 1982 م، ص 35.

[3] د. محمد عابد الجابري: مدخل إلى فلسفة العلوم، ج1، ص 35.

[4] د. محمد عابد الجابري: مدخل إلى فلسفة العلوم، ج1، ص 35.

[5] د. محمد عابد الجابري: مدخل إلى فلسفة العلوم، ج1، ص 36.

[6] الجابري: مدخل، ج1، ص 36.

معرفة الإنسان بهذا العالم من خلال نشاطه العملي والذهني، والبناء الذي يقيمه الإنسان بواسطة هذا النشاط هو موضوع العلم، أو ما يمكن إطلاق مصطلح « العلم » أو « المعرفة » عليه[7].

ومن جانب آخر ندرس مراحل البناء نفسه، ونقد أسسه ومبادئه من خلال إخضاعها للاختبار، وكشف مدى ترابط أجزائها من أجل معرفة الثابت منها والمتغيّر، وهذا كلّه عبر عمليّة تاريخيّة متسلسلة متقدّمة، وهذا ما يشكّل موضوع الايبستيمولوجيا[8].

ولكن قبل المضي قدما في تعقّب الظروف والعوامل التي أحاطت بنشأة الطبّ في الأندلس، لا بدّ من التوقّف عند محطّات تاريخيّة رئيسة، تعيننا على تحديد الأسباب الفعليّة الموجّهة للحركة العلميّة الإسلاميّة والمؤسّسة لمختلف العلوم الأصيلة والدخيلة التي عرفتها الحضارة العربيّة الإسلاميّة.

أولى المحطّات التي تستوقف الباحث التاريخي، هي مرحلة النقل والتعريب، إذ بدأت ترجمة علوم الأوائل على يد خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان (ت 85 هـ)[9]، إذ استدعى جماعة من اليونانيين

---

[7] عند تناول لفظة « العلم » أو « المعرفة » سواء عند العلماء السابقين من المسلمين أو المحدثين، نجد تباينا كبيرا في تحديد ماهيّة « العلم »، ولقد ورد حديث عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فيما معناه: قال صلّى الله عليه وسلّم « إنّما العلم آية محكمة أو سنّة قائمة
أو فريضة عادلة »، ومن هنا جاء اختلاف العلماء المسلمين القدامى والفلاسفة حول حقيقة العلم وما هو العلم الواجب والعلم الكفائي، وأيّهما يأخذ إلى دار السعادة، وهذا الاختلاف راجع إلى الإطار المرجعي الذي يتحرّك من خلاله كلّ فريق، وسنعود إلى هذه المسألة
فيما بعد عندما نتناول مبحث « الطبّ في الأندلس، الموضوع والمنهج »، راجع بشأن حديث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: أبو حامد الغزالي (ت 505 هـ)، كتاب العلم، من إحياء علوم الدين، تقديم: رضوان السيّد، الطبعة الأولى، دار إقرأ، بيروت، لبنان، ط 1، 1403هـ/1983م، ص 86، والحاشية رقم (1) وص 196، الحاشية رقم (1).

[8] لفظة « الايبستيمولوجيا » أو « نظريّة المعرفة »، المراد بها النقد العلمي للمعرفة فتدرس « العمليات العامّة التي يستخدمها العقل البشري في مجال العلم، والبحث في نقد المعرفة؛ فهو الذي يحدّد قيمة المعرفة البشريّة وحدودها ».
والايبستيمولوجيا Epistémologie، اصطلاح جديد مركّب من كلمتين يونانيتين، الأولى: Epistéme، ومعناها علم، والثانية: Logos ومن معانيها: علم، نقد، نظرية، دراسة؛ فالايبستيمولوجيا إذن من حيث الاشتقاق اللغوي هي « علم العلوم » أو « الدراسة النقديّة للعلوم » وهذا لا يختلف كثيرا عن معناها الاصطلاحي.
أمّا من حيث تاريخ نشأة هذا العلم الحديث؛ فإنه يرجع إلى جان بياجيه صاحب فكرة الايبستيمولوجيا التكوينيّة أو الارتقائيّة، وإلى غاستون باشلار أيضا.
أنظر: د. جلال محمد عبد الحميد موسى: منهجيّة البحث العلمي عند العرب في مجال العلوم الطبيعيّة والكونيّة، بيروت، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الأولى 1982 م، ص 33، والحاشية رقم (1).وانظر: د.محمد عابد الجابري: مدخل إلى فلسفة العلوم، ج1، ص29 – 32؛ وانظر: أحمد فؤاد باشا: ابيستيمولوجيا العلم ومنهجيته في التراث الإسلامي، مداخلة قدّمت إلى ندوة قضايا المنهجية في الفكر الإسلامي
– قسنطينة – الجزائر 9 – 12 ديسمبر 1989، الطبعة الأولى، تحت رعاية المعهد العالمي للفكر الإسلامي، واشنطن بالتنسيق مع جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة.

[9] خالد بن يزيد بن معاوية (ت 85 هـ/704 م) هو بن معاوية بن أبي سفيان يصل نسبه إلى عبد شمس بن عبد مناف، كان مرشّحا للخلافة بعد أبيه لكنّه خذل فرغب عن الملك إلى العلم. وكان أوّل من أمر بترجمة التراث العلمي لليونان إلى اللغة العربيّة، إضافة إلى تعريب ما نقل من علم اليونان إلى السريانية والقبطية. كان خطيبا وشاعرا فصيحا، ويقول هولميارد إنّ خالدا درس الكيمياء على يد عالم مسيحي من أهل الإسكندريّة يقال له ماريانوس Marianos. وإن كان بعض المؤرّخين العرب المتقدّمين كابن خلدون أو الغربيين المحدثين أمثال ألدوميلي Aldomilli وروسكا Ruska، قد نفوا عن خالد بن يزيد الاشتغال بالكيمياء. انظر حوله: ابن النديم: الفهرست، المطبعة الرحمانية، مصر مع إضافة إلى الكتاب « تكملة » وضعها أحمد تيمور باشا بتاريخ 1348 هـ، ص 497 – 498، والجاحظ: البيان والتبيين، القاهرة، الطبعة الأولى، 1367 هـ/1948 م، ج1، ص 328. وابن خلدون: المقدّمة، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، بيروت، لبنان 1982 م، ص 978. والدكتور فاضل أحمد الطائي: الكيمياء والصيدلة عند العرب ضمن موسوعة الحضارة العربيّة الإسلاميّة، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1987 م، ص 14 – 17.

ممّن كانوا في مدرسة الإسكندرية، وطلب منهم نقل بعض الكتب اليونانية والقبطية خاصّة منها كتب الكيمياء التي تشرح كيفيّة تحويل المعادن الخسيسة إلى فضّة وذهب، وترجمتها إلى العربيّة.

ولقد ذكر ابن النديم[10] صاحب الفهرست[11]، راويا أنّ « خالدا بن يزيد بن معاوية كان خطيبا وشاعرا فصيحا وحازما ذا رأي وهو أوّل من ترجم له كتب الطبّ والنجوم، وكتب الكيمياء »[12]، ويضيف أنّ له من الكتب « كتاب الحرارات »، و« كتاب الصحيفة الكبير »، و« كتاب الصحيفة الصغير »، وكتاب وصيّته إلى ابنه في الصنعة[13]. وقال الجاحظ بأنّه أوّل من ترجم كتب النجوم والطبّ والكيمياء[14].

إنّ نقل علوم الأوائل إذن، بدأ في النصف الثاني من القرن الأوّل للهجرة، قبيل بداية تدوين العلوم الإسلاميّة، ولذا سمّاها مؤرّخو العلوم بـ« العلوم الدخيلة »، أي أنّها وليدة بيئة وثقافة خارجتين عن إطار البيئة الإسلاميّة واللغة العربيّة، وهنا طرحت مسألة الأصيل والدخيل في اللغة العربيّة، ومدى إمكانيّة هذه الأخيرة في استيعاب الأسماء والأفعال غير العربيّة اللفظ وإخضاعها لمقاييسها النحويّة والصرفيّة والتركيبيّة، حتّى تصير ألفاظا عربيّة يمكن كتابتها بحروف عربيّة وإخضاعها لقوانينها، وهكذا انتقلت اللغة العربيّة بالعقل المسلم إلى مستوى آخر جديد هو مستوى الاصطلاحات والمفاهيم، ومن هنا بدأت الخطى الأولى نحو بناء الحضارة الإسلاميّة، إسلاميّة المصدر، عربيّة اللسان.

أمّا ثاني المحطات التاريخيّة التي تستوقفنا، هو ما ذكره السيوطي[15] نقلا عن الذهبي[16] في قوله: « في سنة ثلاث وأربعين ومائة شرع علماء الإسلام في هذا العصر في تدوين الحديث والفقه

---

[10] ابن النديم: هو محمد بن إسحق النديم، كنيته أبو الفرج، وكنية أبيه أبو يعقوب، مصنّف كتاب الفهرست، وله من التصانيف: فهرست الكتب، كتاب التشبيهات، وكان شيعيّا معتزلا، هذا كلّه ما ذكره ياقوت الحموي عنه في معجم الأدباء، ولا يعرف تاريخ ميلاده ولا في أيّ قطر كان ولا تفاصيل عن حياته، لكن هناك اختلاف حول تاريخ وفاته، البعض يجعله 385 هـ والبعض يقول بعد 390 هـ. انظر: ياقوت الحموي: معجم الأدباء، المعروف بـ« إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب » نسخ وتصحيح د.س.مرجيليوث D. S.Margeliouth، الطبعة الثانية، مطبعة هندية بالموسكي، مصر 1930، ج 6، ص 408. وانظر: يوسف إلياس سركيس: معجم المطبوعات العربيّة والمعرّبة، طبع في لبنان، دون تاريخ للنشر، ج1، ص ص 267 – 268. وابن أبي أصيبعة (العيون): ط. دار الثقافة، بيروت، ط 3، 1401هـ/1981م، ج 2، ص 178.

[11] الفهرست: هو الكتاب الذي ألّفه ابن النديم عام 377 هـ وقال عنه: « هذا فهرست كتب العلوم القديمة وتصانيف اليونان والفرس والهند الموجود منها بلغة العرب وقلمها »، عني بنشره الأستاذ فلوغل وفيه ملحوظات عدد صفحاتها 43، ويليه جزء آخر فيه ملحوظات باللغة الألمانية للمستشرقين: فلوغل، ملر، ورود إيجر. وقد طبع الكتاب في ليبيسك عام 1872 بالاعتماد على تواجد نسخة بمكتبة باريس ونسخة فيمكتبةكوبرليبالأستانة ونسختين في فيينا ونسخة في ليدن، ونشر فيمجلّة ألمانيةعام 1889 م، اسمها: DieKundes Mogenlandes. وفيه تراجم سقطت من الأصل من أوّل المقالة الخامسة ص 171 وص 245. وفي الخزانة نسخة خطيّة من الفهرست غير كاملة نقلت عن نسخة قديمة مع إضافة وضعها أحمد تيمور باشا بتاريخ 1348 هـ. انظر: إلياس سركيس: معجم المطبوعات: ج 1، ص 268.

[12] و[13] ابن النديم: الفهرست، ص ص 497، 498.

[14] الجاحظ: البيان والتبيين، ج 1، ص 328.

[15] السيوطي: هو (جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن 1445/849 م – 911 هـ/1505): ولد بالقاهرة وتعلّم بها علوم التفسير والحديث والفقه والنحو واللغة والأدب فكان ذا ثقافة موسوعيّة، وقد كانت النزعة الفقهيّة الشافعيّة غالبة عليه، سافر إلى بلاد الحجاز والشام واليمن والهند والمغرب، وتولّى الإفتاء سنة 871

والتفسير (...) وكثر تدوين العلم وتبويبه، ودوّنت كتب العربيّة والتاريخ وأيّام الناس. وقبل هذا العصر كان الناس يتكلّمون من حفظهم أو يروون العلم من صحف صحيحة غير مرتّبة »[17].

عند النظر إلى هذا النصّ نجده شمل عدّة معطيات تفيد الباحث في تكوين صورة واضحة عن الواقع الثقافي والنشاط العلمي آنذاك، إذ يمكن حصر هذه المعطيات في النقاط التالية:

- لقد حدّد النصّ سنة ثلاث وأربعين ومائة (143 هـ) كتاريخ لبداية التدوين في الإسلام.
- أحصى لنا المجالات العلميّة المشهورة آنذاك وهي: الحديث، الفقه، التفسير وتدوين كتب العربيّة واللغة والتاريخ وأيّام الناس.
- أشار النصّ إلى الطريقة التي كان يمارس بها العلم، إذ كان الناس يروون من حفظهم، أو من صحف صحيفة غير مرتّبة، أي غير مبنيّة على مقياس معيّن أو تقييدات منهجيّة خاصّة.

هذه المعلومات مفيدة جدّا لمؤرّخ العلوم العربيّة الإسلاميّة، فهي تحدّد تاريخ الشروع في تأسيسها والموادّ التي كانت موضوع التأسيس العلمي، غير أنّ الباحث الايبستيمولوجي سينصرف اهتمامه إلى ما هو أهمّ من ذلك، إلى عبارة « تدوين العلم وتبويبه » الواردة في النصّ.

« تدوين العلم وتبويبه » غير إنتاج العلم، تدوين العلم معناه: أنّ العلم جاهز، وأنّ مهمّة المدوِّن، تنحصر في جمعه وتبويبه، ورغم أنّ اصطلاح[18] « العلم » في ذلك الوقت كان يراد به أساسا

هـ/1466 م. وتوفّي بالقاهرة عام 911 هـ/1505 م. ألّف في مختلف أنواع المعرفة ومن أهمّ آثاره « المزهر في علوم اللغة » و« الإتقان في علوم القرآن » و« الأشباه والنظائر » و« بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة » و« كتاب المهذّب فيما وقع في القرآن من المعرّب » و« تاريخ الخلفاء »، انظر حوله: إلياس سركيس: معجم المطبوعات، ص ص 1073 – 1085.

(16) الذهبي: هو الحافظ شمس الدين الذهبي، واسمه محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، أحد كبار المحدثين في القرن الثامن، وصاحب التآليف الكثيرة في الحديث، توفّي سنة 748 هـ. انظر: ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، حيدر آباد 1334 هـ، ج 1، ص 169.

(17) السيوطي: تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار النهضة، القاهرة، الطبعة الأولى 1967 م، ص 416.

(18) يقول د. يحيى عبد الرؤوف جبر، حول موضوع الاصطلاح: « إنّه لغريب أن يستخدم معظم الباحثين كلمة "مصطلح"، مع أنّ هذه الكلمة – مصطلح – لا تصحّ لغة إلاّ إذا اصطلحنا عليها، ذلك أنّ أسلافنا لم يستخدموها ولم ترد في المعجم لهذه الدلالة ولا لغيرها. وإنّما يستخدم العرب بدلا منها المفردات الآتية: أ– اصطلاح: وهو مصدر الفعل "اصطلح" وبه يسمّى اللفظ المصطلح عليه، على نحو

ما يتّضح في عنوان كتاب كمال الدين عبد الرزاق الكاشاني (من صوفية ق 8 هـ): اصطلاحات الصوفية، واصطلاحات الصوفية لابن عربي، الملحقة برسائل ابن عربي. وجاء في نونية ابن قيّم الجوزية (ت. 751 هـ) التي بثّ فيها إنكاره التأويل المجازي. قوله:

« فجعلتم للفظ معنى غير .·. معناه لديهم باصطلاح ثان ».

« ولعلّ أوّل استخدام لهذا اللفظ، ما ذهب إليه ابن جنّي من أنّ اللغة توقيف أم اصطلاح. ومنه أيضا كتاب كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي، وفي كتاب التعريفات للجرجاني ما نصّه: "فهذه تعريفات جمعتها واصطلاحات أخذتها من كتب القوم"، وفيه أيضا: "الاصطلاح عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأوّل". وجاء في كتاب الطبّ الروحاني للرازي قوله: "فقلت: أخبرني عن العلوم، اضطراريّة أم اصطلاحيّة" أي مما تواضع الناس عليه، وهذا كلّه يوضّح أنّ القوم كانوا على "اصطلاح" وليس على "مصطلح"، وهناك مفردات أخرى استعملت للدلالة على هذا اللفظ؛ مثل: الكلمة، والمفردة، والمفتاح واللفظ. وهكذا فإنّ كلمة "مصطلح" من الأخطاء الشائعة سماعا. ذلك أنّها لا تصحّ لدلالتها المستخدمة لها إلاّ مع حرف الجرّ "على"، لأنّ الفعل "اصطلح" يتعدّى بها. وهذا يزيدها

« الحديث » وما يتّصل به من تفسير وفقه؛ فهو يفيد « المسموعات » أو « المرويات » أي ما لا يحصل إلاّ عن طريق السماع وبالتواتر، وهذا العلم يفيد اليقين بحسب مصادره الأصليّة المتمثّلة في القرآن والسنّة والإجماع، وهو -أي العلم- مستعمل في مقابل « الرأي » الذي يفيد الظنّ وأدلّته غير يقينيّة.

أمّا اصطلاح « التبويب »؛ فهو راجع للطريقة التي دوّنت بها السنّة، إذ كانت هناك عدّة طرق منها طريقة تبويب موضوعات الحديث؛ فجاءت المدوّنات في الحديث على طريقة الأبواب[19].

وهذا يفيد أنّ العلم كان موجودا جاهزا لا يحتاج إلاّ للجمع والتدوين والتبويب، ولكن عمليّة الجمع والتصنيف هذه لا تتمّ بواسطة « رأي » إذ لا بدّ من انتقاء وحذف وتصحيح وتقديم وتأخير؛ فعمليّة التدوين هذه لم تكن تهدف فقط إلى حفظ هذا الموروث الثقافي[20] من الضياع والاندراس، بل كانت تقصد إلى ما هو أبعد من ذلك، كانت تريد إعادة بناء ذلك الموروث من أجل صياغة جديدة للعقل الإسلامي.

لكن الطرح الإشكالي لمضمون النصّ الذي ساقه السيوطي نقلا عن الذهبي هو: ما هي البواعث الفعليّة لهذا العمل الاستراتيجي ؟ ولماذا هذا التعارض التاريخي بين نصّ السيوطي ونصّ ابن النديم فيما يخصّ التأريخ للعلم من حيث التدوين والتبويب ؟

هناك جوانب هامّة سكت عنها نصّ السيوطي، ولم ترد في منطوقه، وهي مفتاح الإشكالات الموجودة في سياق النصّ التاريخي الآنف الذكر.

بعدا عن الصواب؛ فلابدّ من الرجوع إلى كلمة "اصطلاح" وهي من باب التسمية بالمصدر، كاعتراف: بمعنى ما يعترف به. جاء في المعجم الوسيط (صلح): الاصطلاح مصدر اصطلح، وهو اتّفاق طائفة على شيء مخصوص، ولكلّ علم اصطلاحاته ».

. إنتهى .

= ورأي الدكتور يحيى عبد الرؤوف جبر فيه وجاهة نظر، وإصابة مقنعة، ولذا اعتمدنا في بحثنا هذا على استعمال لفظة « اصطلاح » بدل « مصطلح ».

انظر: بخصوص هذا الموضوع: د. يحيى عبد الرؤوف جبر، أستاذ علم اللغة المشارك بجامعة النجاح الوطنيّة، عمّان، الأردن: الاصطلاح مصادره ومشاكله وطرق توليده، مجلّة اللسان العربي، العدد 1413/36 هـ - 1992 م، ص 143.

[19] انظر حول طريقة تصنيف الحديث ومن هم الأوائل صنّفوا في هذا الفنّ، الأستاذ: طالب عبد الرحمان: السنّة عبر العصور، ديوان المطبوعات الجامعيّة - الجزائر، الطبعة الأولى 1984، ص ص 50 . 51 . 52 . 53.

[20] إنّ مسألة التراث، أخذت حيّزا كبيرا من دائرة التفكير العربي والإسلامي المعاصر، بسبب الإسقاطات الفكرانيّة « الايديولوجية »، وبحسب المدارس التي ينتمي إليها كلّ طرف، ولقد ناقش الدكتور محمد عابد الجابري هذه المسألة في دراسته التي نشرها بعنوان: « التراث ومشكل المنهج » ويتناول كلمة « تراث » ولفظ « ميراث » بالدراسة، فوجد أنّ الأولى ورد ذكرها مرّة واحدة في القرآن الكريم عند قوله تعالى: { وتأكلون التراث أكلا لمّا } ومعنى المفردة: هو المال الذي تركه الهالك وراءه. أمّا كلمة ميراث وردت في القرآن مرّتين في الآية

{ ولله ميراث السموات والأرض } (سورة آل عمران/180) و(سورة الحديد/10). ومعناها: « يرث كلّ شيء فيها لا يبقى منه باق لأحد من مال أو غيره ». (كما جاء في تفسير الزمخشري). ثمّ تناول الكلمة عند الفقهاء وغيرهم وخلص إلى أنّ استعمال لفظ

« التراث » بمعناه المتعارف عليه اليوم لم يكن موجودا في الخطاب العربي القديم ولا الإسلامي.

- انظر حول موضوع التراث: د. محمد عابد الجابري: التراث ومشكل المنهج، مجلّة المستقبل العربي، ع 83 (1986/1)، بيروت، لبنان ص ص 4 - 7.

- د.يوسف القرضاوي:بيّناتالحلّالإسلاميوشبهاتالعلمانييينوالمتغرّبين،مكتبةرحاب،الجزائر،الطبعة1989،2،صص177-123.

- د. طه عبد الرحمان: تجديد المنهج في تقويم التراث، الطبعة 1994/1 م، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب.

• أوّل الجوانب التي سكت عنها نصّ السيوطي، هي جوانب أخرى من الحركة العلميّة التي شهدها عصر التدوين قبل سنة 143 هـ، ولم يشر إليها، لأنّها تدخل في دائرة « العلم » الذي حدّد معناه ومجالاته. وهذه الجوانب هي « علم الكلام » و« تعريب الدواوين »[21] و« علوم الأوائل »، وهذا المجال الأخير الذي يدخل في حيّز اهتمامنا هو الذي نريد مقابلته بطرح « الذهبي »، إذ أنّ هناك إجماعا من طرف المؤرّخين لعلوم القدماء على أنّ ترجمة « علوم الأوائل » قد بدأت مع خالد بن يزيد[22] بن أبي سفيان (ت. 85 هـ)، إذ هو أوّل من أبدى اهتماما بترجمة الكيمياء والطبّ والتنجيم؛ ولكن بماذا يعلّل هذا السكوت والتجاهل الذي أبداه الذهبي تجاه هذا العمل العلمي، لعلّ هذا الموقف يدلّ على اختلاف معرفي وعقدي، فالموقف موقف مضادّ لعلوم الأوائل، بسبب ما تحمله هذه الأخيرة من عقائد دينيّة هرمسيّة مخالفة لعقيدة الإسلام؛ فجاء ردّ العلماء السنيّين على هذا الموروث الثقافي الدخيل المنقول إلى حقل الثقافة العربيّة الإسلاميّة، ومن جهة أخرى، يبيّن هذا الموقف الايبستيمولوجي فهما عميقا من طرف العلماء المسلمين لأصول هذه العلوم الوافدة على العقل العربي الإسلامي.

• الجانب الثاني الذي لم يطرقه النصّ، هو أنّنا أمام مجالين معرفيين مفارقين لبعضهما من حيث المصدر والأساس الذي انبنى عليه كلّ منهما.

المجال المعرفي الأوّل، يحوي علوم الكيمياء والطبّ والسحر والتنجيم، أمّا المجال المعرفي الثاني؛ فإنّه يضمّ: علوم العربيّة واللغة، والحديث والفقه والتفسير والمغازي وأيّام الناس؛ فهما مختلفان في الموضوع وفي المنهج، بل وفي الأساس العقدي، ومن ثمّة نجد أنّ نقاط التباعد أكثر من نقاط التقارب بين المجموعتين المعرفيتين.

من خلال ما تقدّم، نجد أنّ هناك حركتين كانتا تعملان في اتجاهين مختلفين إلى درجة التضادّ على تأسيس الحركة العلميّة الإسلاميّة، كما نجد أنّ الطبّ أحد علوم الأوائل الوافدة على الثقافة العربيّة الإسلاميّة.

فكيف نشأ علم الطبّ وكيف تحدّد مفهومه داخل الحقل المعرفي الإسلامي ؟

---

[21] بخصوص موضوع نشأة علم الكلام وتعريب الدواوين والقراءة النقديّة لمضمون نصّ الذهبي الوارد ذكره آنفا،من أراد التوسيع والتفصيل، فعليه الرجوع إلى: د. محمد عابد الجابري: تكوين العقل العربي، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الثانية 1985. ص ص 62 – 68.

[22] ينكر ابن خلدون في مقدّمته إذا كان خالد بن يزيد بن معاوية هو أوّل من نقل وترجم علوم الكيمياء والتنجيم، وهذا الإنكار له دلالته عند ابن خلدون إذ يقول: « وربّما نسبوا بعض المذاهب والأقوال فيها (أي الكيمياء) لخالد بن يزيد بن معاوية ربيب مروان بن الحكم. ومن المعلوم البيّن أنّ خالدا من الجيل العربي، والبداوة إليه أقرب، فهو بعيد عن العلم والصنائع بالجملة، فكيف له بصناعة غريبة المنحى مبنيّة على معرفة طبائع المركّبات وأمزجتها ؟! وكتب الناظرين في ذلك من الطبيعيّات والطبّ لم تظهر بعد ولم تترجم، اللهمّ إلاّ أن يكون خالد بن يزيد آخر من أهل المدارك الصناعيّة تشبّه باسمه فممكن ». انظر: المقدّمة، ص 978.

1. الطبّ تاريخا واصطلاحا:

إنّ بدايات الطبّ العربي نجدها في المرحلة السابقة عن ظهوره، ونعني بذلك، الطبّ اليوناني، إذ لم يعرف العرب هذا العلم إلاّ من مؤلّفي كتب الطبّ اليونان: بقراط[23] وجالينوس[24] بالإضافة إلى روفس الأفسيسي[25] وآيتيوس[26] وبولس الأجانيطي[27].

وقد ترجمت مؤلّفات بقراط إلى العربيّة على يد حنين بن إسحاق[28] العبادي الذي صحّح ترجمة جبريل بن ختشيوع[29] التي كانت ضعيفة حتى استقامت[30] كما ترجمت مؤلفاته الأخرى مثل كتاب

---

[23] بقراط: هو أبو الطبّ اليوناني بلا منازع (Hippocratès)، ولد في جزيرة قوص Cos حوالي عام 460 ق. م، تعلّم الطبّ على والده هراكليديس (Heraclides) وعلى يد أستاذه هيروديكوس السليمبري (Herodicosof selymbria)، هذا الأخير الذي وضع له الأساس الذي بنى عليه فنّه، بتعويده الاعتماد على الرياضة البدنيّة والأغذية الطبيعيّة والعدول ما أمكن عن الأدوية. وترك عدّة مؤلّفات منها كتاب المسائل وتقدمة المعرفة والأمراض الوافدة، توفّي حوالي سنة 357 ق. م على الأرجح، انظر حوله: ابن النديم: الفهرست، تحقيق غوستاف فلوغل، ليبزيغ، 1872، ص ص 287 – 288، صاعد الأندلسي: طبقات الأمم، تحقيق لويس شيخو، بيروت، 1912،

ص ص 27 – 28، القفطي: تاريخ الحكماء، وهو (منتخب الزوزني المسمّى بالمنتخبات الملتقطات من « كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء »، تحقيق يوليوس ليبر، طبعة لبزيغ 1903، ص ص 90 – 95)، جورج سارتون: تاريخ العلم، دار المعارف، القاهرة،

الطبعة الثالثة 1978، ج 2، ص ص 218 – 220 وص 279، ج رقم 27 – 28 – 29 – 30، ومحمد عبد الرحمن مرحبا: الجامع في تاريخ العلوم عند العرب، منشورات عويدات، بيروت، باريس، الطبعة الثانية 1988، ص ص 99 – 100، د. فيصل دبدوب: المشاهدات الطبيّة من أبقراط إلى الرازي، مجلّة المورد، المجلّد السادس، دار الحريّة للطباعة، بغداد 1398 هـ/1977 م، العدد الرابع،

ص ص 112 – 114.

[24] جالينوس: هو قلاوديوس جالينوس (Claudios Galenûs) البرغامي (ت. 199 م) وهو ابن مهندس معماري اسمه الأصلي اقلوديوس، ولقب جالينوس معناه اللطيف الوديع، ولد في القرن الثاني بعد الميلاد في برغاموم بآسيا الصغرى، درس الطبّ والفلسفة واقام في مدينة الاسكندريّة عدّة أعوام، ثمّ مارس صناعة الطبّ بمسقط رأسه، ثمّ ذهب إلى روما ليصبح طبيب البلاط ويكنّيه ابن خلدون في المقدّمة بـ«إمام الصناعة » وأنّه كان معاصرا لعيسى عليه السلام، ترك عدّة آثار منها: كتاب الصناعة الطبيّة وكتاب الاسطقسات

وكتاب المزاج وكتاب تدبير الأصحّاء. انظر حوله: ابن النديم: الفهرست، ص ص 288 – 291، القفطي: تاريخ الحكماء،

ص ص 122 – 132، ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقة الأطبّاء، تحقيق أوغست مللر، ط 1، القاهرة 1299 هـ/1822 م، ج 1،

ص ص 71 – 103، ابن خلدون: المقدّمة، ص 493، محمد مرحبا: الجامع في تاريخ العلوم، ص ص 104 – 109.

[25] روفس: هو روفس الأفسيسي (Rufus d'Ephèse) نسبة إلى مدينة أفسيس Ephèse. وهو من المتقدّمين قبل جالينوس، عاش في بداية القرن الثاني للميلاد. وقد ذكر له ابن النديم ثلاثا وأربعين كتابا (43 كتابا) في مختلف المواضيع الطبيّة، منها: كتاب تسمية أعضاء الإنسان، كتاب اليرقان والمرارة، كتاب الأمراض التي تعرض في المفاصل وكتاب وصايا في حفظ المعدة، وغيرها. وقد اتّهمه القفطي بضعف النظر والتأكّد من الأدلّة. انظر حوله: ابن النديم: الفهرست، ص ص 291 – 292، القفطي: تاريخ الحكماء، ص 185، ابن أبي أصيبعة عيون الأنباء، ج 1 ص ص 33 – 34، فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي، نقله من الألمانيّة محمود فهمي حجازي وفهمي أبو الفضل،

ط 1،القاهرة 1977 – 1978 أو Geschichte des Arabishen Shriftums, Leiden 1967 – 1984, 9 Vol، ج 3،

ص ص 64 – 68.

[26] آيتيوس: هو العالم البيزنطي الاسكندراني أياتيوس الآمدي (Aetios d'Amide) المتوفّى عام 550 م. انظر حوله: ابن أبي أصيبعة: العيون ج 1 ص 109، وقد سمّاه: (طنس الآمدي)، سزكين: التراث العربي، ج 3 ص ص 164 – 165.

[27] بولس: هو بولس الأجانيطي Powlos de Aegineta، وهو عالم اسكندراني عاش في الإسكندريّة في القرن السابع الميلادي قبل أن يفتحها المسلمون، ويعرف أيضا بالقوابلي وبالاسكندراني وله من الكتب:كتاب الكنّاش في الطبّ، وكتاب في علل النساء. انظر حوله: ابن النديم: الفهرست، ص 293؛ القفطي: تاريخ الحكماء، ص ص 261 – 262، ابن أبي أصيبعة: العيون ج1 ص 103.

[28] حنين ابن إسحاق: هو أبو زيد بن إسحاق العبادي (ت 260 هـ/873 م) هو أشهر تراجمة العصر العبّاسي، ولد بالحيرة حوالي سنة 194 هـ/809 م في عائلة عربيّة الأصل من نصارى الحيرة وكان والده صيدلانيّا، تعلّم الطبّ في بغداد على أشهر أطبّائها وارتحل إلى آسيا الصغرى حيث أحكم اللغة اليونانيّة، واستقرّ بعد ذلك في بغداد معلّما للطبّ، وجعله الخليفة العبّاسي المتوكّل (232 هـ/847 م – 247 هـ/861 م) طبيبه الخاصّ، وقد كانت له اليد الطولى في ترجمة كتب أبقراط وجالينوس. ويلاحظ في المصادر القديمة تذكر أنّه لقي

المسائل Aphorisms، ثمّ درست وشرحت مقالاته في تقدمة المعرفة Prognostics، والأمراض الوافدة Epidemics، وقد ترجم كثيرا من مؤلّفات جالينوس إلى العربيّة منها كتاب الصناعة الطبيّة Ars Medica، أو إيساغوجي Isagoge، وهو الكتاب الذي شاع استعماله في العصور الوسطى، وكتاب « الاسطقسات » على رأي بقراط De elementis sewndum hippocratem، وكتاب المزاج Detemperamentis، وكتاب تدبير الأصحّاء De sanitate tuenda، كما ترجمت له كتب أخرى في النبض وفي الأورام وشروح كثيرة على كتب بقراط، وخاصّة شرحه لكتاب الحميات والمسائل[31].

وعن طريق المترجمين الأوائل، أمكن إنقاذ تراث الطبّ اليوناني القديم من الضياع والاضمحلال؛ فأقدم موسوعة عربيّة في الطبّ لا زالت باقية، وهي: كتاب « فردوس الحكمة » الذي ألّفه علي بن ربن الطبري في القرن الثالث الهجري[32] .

وأهميّة هذا الكتاب ترجع أوّلا إلى حقيقة هامّة، هي أنّ مؤلّفه كان على علم بالكتاب الرائد الذي وضعه حنين بن إسحاق عن طب العيون، وربّما كان على علم بترجمته لكتاب « مقالة في الدلائل »، أي التشخيص لأبقراط. والسبب الثاني لأهميّة كتاب « فردوس الحكمة »[33]، هو أنّ مؤلّفه خصّص فصلا

الخليل بن أحمد وأخذ عنه اللغة العربيّة وهذا ليس في الحقيقة إلاّ وهما خاصّة إذا علمنا أنّ الفراهدي توفّي عام 175 هـ، أي قبل ولادة حنين بحوالي عشرين سنة. وله من الكتب غير ما ترجم: كتاب المسائل في الطبّ، كتاب الأغذية وكتاب علاج العين وغيره. انظر حوله: ابن النديم: الفهرست (ط. الرحمانيّة، مصر، د. ت) ص 409 – 410. ابن أبي أصيبعة: العيون، ج 1،

ص ص 184 – 200، صاعد الأندلسي: طبقات الأمم، تحقيق حياة بوعلوان، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1985، صص 101 – 103. وجورج سارتون: تاريخ العلم، ج 2، ص ص 301 – 302، د. مصطفى شريف العاني: الأواصر المكينة بين الأدب والطبّ، مجلّة المورد، مج 6، ع 4، ص ص 15 – 16.

[29] جبريل بن ختشوع: يكنّى أبا جبريل، وهو حفيد جورجيس، خدم هارون الرشيد ثلاثا وعشرين سنة، والأمين والمأمون والمعتصم والواثق والمتوكّل وله من الكتب: كتاب التذكرة، وله رسالة في التغذية وفي الروائح، وهو الذي أشار على هارون الرشيد بتكوين بعثة وإيفادها إلى بلاد اليونان للتفتيش على المخطوطات اليونانيّة النادرة. انظر حوله: ابن النديم: الفهرست (ط. الرحمانيّة) ص 413، صاعد: طبقات الأمم ص 101. ومحمد مرحبا: الجامع في تاريخ العلوم، ص 223.

[30] بخصوص ما قام به حنين بن إسحاق العبادي من الترجمة وإصلاح ما ترجمه الأوائل انظر حوله: ابن النديم: الفهرست (ط. الرحمانيّة)

ص ص 401 – 405 وص ص 409 – 410، ودائرة المعارف الإسلاميّة: ترجمة مجموعة من الأساتذة، دار المعرفة، بيروت، لبنان (د. ت) ج 15. مادّة الطبّ ص 59 ود. مرحبا: الجامع، ص ص 224 – 226.

[31] ابن النديم: الفهرست (ط. الرحمانيّة) ص ص 401 – 405 وص ص 409 – 410، ودائرة المعارف، ج 15 ص 59.

[32] الطبري: هو أبو الحسن علي بن سهل الطبري، ولد بطبرستان ببلدة مرو في نهاية القرن الثاني الهجري، وأسلم على يد المعتصم، كما يوجد اختلاف كبير في تاريخ ميلاده وفي اسمه كذلك إذ هو عند البعض زيل بن رين، وعلي بن زيد عند البعض، وسمّي كذلك علي بن ربن النصراني وعلي بن سهل بن ريل وعلي بن زين، وبالنسبة لتاريخ ميلاده على الأرجح أنّه ولد في أواخر أيّام أبي جعفر المنصور

(136 – 158 هـ) أو في أوائل خلافة المهدي بالله (158 – 169 هـ) من خلال رواية يذكرها ابن ربن الطبري نفسه في كتابه فردوس الحكمة. وله من الكتب: كتاب تحفة الملوك، وكتاب كنّاش الحضرة، كتاب منافع الأطعمة والأشربة والعقاقير وكتاب الدين والدولة وكتاب فردوس الحكمة. (توفّي عام 240 هـ/855 م). انظر حوله: ابن النديم: الفهرست، (ط. الرحمانيّة)ص 412، القفطي:

أخبار العلماء، ص 231، ابن أبي أصيبعة: العيون (ط. دار الثقافة)، ج 2، ص 414. ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ط. بالموسكي،

= مصر 1930، ج 6، ص 429، ابن خلّكان: وفيات الأعيان، طبعة محمد محي الدين عبد الحميد 1948، ج 4، ص 245. صاعد: طبقات الأمم (تحقيق حياة بوعلوان) ص 153.

[33] فردوس الحكمة: هو الكتاب الذي اشتهر به صاحبه علي بن ربن الطبري، ألّفه بالفارسيّة وترجمه إلى العربيّة، يحتوي على نقول كثيرة عن أبقراط وجالينوس وديسقوريدس وبعض أطبّاء اليونان وخططهم، بل وأطبّاء الهنود ومناهج استنباطاتهم. وقد نشر هذا الكتاب محمد صديقي بـ(برلين) عام 1928. وكتب عنه ماكس

قائما بذاته للطبّ الهندي، بغرض واضح هو المقارنة بين هذا الطبّ وبين طبّ الإغريق الذي يقوم عليه الكتاب أصلا، وثالث أسباب هذه الأهميّة، هو أنّ المؤلّف يستخدم اصطلاحات حنين في الفصل الأوّل المطوّل من الكتاب، الذي يدور حول فلسفة الطبيعة[34].

وكتب إسحاق بن حنين بن إسحاق[35]، في وقت مبكّر مصنّفا موجزا وقائما بذاته في تاريخ الطبّ. وكان هذا الكتاب الذي يدعى« تاريخ الأطبّاء » معروفا لدى ابن النديم[36]مؤلّف كتاب الفهرست، الذي عاش في أواخر القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، إذ اعتمد عليه كثيرا.

بل حتّى هذا المصنَّف « الفهرست »، يعتبر عمدة للباحث في تاريخ العلوم بصفة عامّة، والباحث في تاريخ الطبّ بصفة خاصّة، إذ اعتمد صاحب المصنَّف على مصادر متنوّعة موثوق بها إلى درجة كبيرة، وكان يعرضها بدقّة تامّة. وفي القرن نفسه – أي الرابع الهجري –، أُلّفت مجموعة أخرى من تراجم العلماء، كتلك التي وضعها الطبيب الأندلسي ابن جلجل[37] في كتابه طبقات الأطبّاء والحكماء[38]، والعالم أبو سليمان المنطقي[39].

مايرهوف في مجلّة ISIS سنة 1931 ص ص 6 – 54 تحت عنوان « كتاب فردوس الحكمة لعلي بن ربن الطبري، واحد من أهمّ الكتب العربيّة في الطبّ »، وكتب أ. سجل A. Siggel مقالا بعنوان: « أمراض النساء وعلم الأجنّة وصحّة النساء في كتاب فردوس الحكمة »، نشر عام 1941 – 1942 في مجلّة Quellen U. Stud. Z. Gesch. D. Naturim. ص ص 216 – 272. انظر حوله: ابن النديم: الفهرست، (ط. الرحمانيّة)ص 412، صاعد: طبقات الأمم (ط. دار الطليعة) ص 153، مجلّة المعرفة: تراث الإسلام، ط 2، الكويت 1988، ج 2، ص 255، مجلّة المورد، مج 6، ع 4، ص 18، مجلّة عالم الفكر، الكويت، مج 9، ع 1، ص 18، د. محمد مرحبا: الجامع في تاريخ العلوم، ص 222.

[34] انظر مجلّة المعرفة ج 2، ص 255، مجلّة المورد، مج 6، ع 4، ص 18، مجلّة عالم الفكر، مج 9، ع 1، ص 18.

[35] إسحاق بن حنين: هو إسحاق بن حنين بن إسحاق العبادي (ت 298 هـ/910 م) عمل في خلافة المعتمد والمعتضد والمقتدر، وكان معاصرا لابن الرومي الشاعر، كان إلى كتب الحكمة أميل، فقد عني خاصّة بمؤلّفات أرسطو، ونقل كتاب الأصول لإقليدس، كما نقل كتاب الكرة والأسطوانة لأرخميدس. انظر: صاعد: طبقات الأمم (ط. دار الطليعة) ص 103، مرحبا: الجامع في تاريخ العلوم، ص ص 226 – 227. وانظر: ابن النديم: الفهرست ص 415.

[36] كتاب تاريخ الأطبّاء، ذكره ابن النديم في الفهرست عندما تعرّض لإسحاق بالترجمة بقوله: « وله من الكتب سوى ما نقل من الكتب القديمة: كتاب الأدوية المفردة على الحروف، كتاب الكنّاش اللطيف، كتاب تاريخ الأطبّاء ... ». الفهرست ص 415.

[37] ابن جلجل: هو أبو داود سليمان بن حسّان (ت. سنة 384 هـ/994 م): هو عالم وطبيب أندلسي ولد في قرطبة سنة 332 هـ/943 م، درس الطبّ في قرطبة، وقد اشتهر بمشاركته في المراجعة الأندلسيّة للترجمة المشرقيّة – البغدادية لكتاب ديسقوريدس « المقالات الخمس »

= وقد ألّف كتابين متّصلين بكتاب ديسقوريدس هما: تفسير أسماء الأدوية المفردة من كتاب ديسقوريدس الذي ضاع معظمه ولم يبق منه إلاّ قطعة صغيرة، ومقالة في ذكر الأدوية التي لم يذكرها ديسقوريدس في كتابه، وقد ضاع هذا الكتاب أيضا إلاّ أن الكتاب الذي اشتهر به ابنجلجل هو « طبقات الأطبّاء والحكماء ». انظر حوله:الحميدي:جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس. تحقيق محمد بن تاويت الطنجي،ط 1، القاهرة 1952، رقم 452، ص 208. القفطي: تاريخ الحكماء، ص 190، ابن أبي أصيبعة: العيون: ج 3، ص ص 75 – 77. بطرس البستاني: دائرة المعارف، دار المعرفة، بيروت، لبنان، دون تاريخ، مجلّد (1) ص 434.

[38] طبقات الأطبّاء والحكماء: لقد قام الأستاذ فؤاد السيّد بتحقيق ونشر هذا الكتاب عام 1955، بمعهد الآثار والدراسات الشرقيّة الفرنسي بمصر، وهو ذو فائدة عظيمة لعلماء الأندلس الأوائل الذين اشتهروا بالطبّ وكذلك لانفراده بروايات لم يذكرها أحد قبله، وكان هو المصدر الأوّل فيها. وقد اعتمد على هذا الكتاب كلّ من صاعد الأندلسي وابن أبي أصيبعة.

[39] أبو سليمان المنطقي: هو محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني المنطقي (ت 391 هـ). كان عالما بالحكمة والفلسفة والمنطق، أصله من سجستان، سكن بغداد ونسب إليها. وله من الكتب: مقالة في مراتب قوى الإنسان، كلام في المنطق، تعاليق حكميّة وملح ونوادر، مقالة في أن الأجرام العلويّة طبيعتها خاصّة ... أنظر بخصوصه ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ج 2، ص 361 – 362 (ط. دار الثقافة).

وفي القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، كتب القاضي والفلكي الطليطلي صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن بن صاعد[40] الأندلسي، أوّل كتاب عن تاريخ العلم في العالم بعنوان: « طبقات الأمم »[41] ويشمل هذا المؤلَّف دراسة مفصّلة لما أسهمت به الأمم المختلفة في ميادين العلم المتنوّعة؛ ويعتبر مصدرا أساسيّا للباحث في تاريخ الطبّ وخاصّة في بلاد الأندلس.

كما نجد في القرن السادس الهجري مؤلَّفا آخر ذا أهميّة تاريخيّة للمهتمّ بتاريخ العلوم للحضارة العربيّة الإسلاميّة، ألا وهو كتاب « بستان الأطبّاء وروضة الألبّاء »[*] من تأليف الطبيب ابن مطران الدمشقي[42]، وفي القرن السابع الهجري نعثر على مصنَّفين يضمّان ملخّصا لجميع المعلومات السابقة في الطبّ، ويزوّدان الباحث بأكمل مصدر للمعلومات عن تاريخ الطبّ، وهذان المصنَّفان هما:

---

[40] صاعد الأندلسي: هو أبو القاسم صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن صاعد التغلبي، نسبة إلى قبيلة تغلب العربيّة، ولد بالمرية سنة 420 هـ/1029 م، وبدأ دروسه في قرطبة وأكملها في طليطلة عاصمة بني ذي النون آنذاك. وولي القضاء بها، وقدم بلاط المأمون إلى أن توفّي عام 462 هـ/1070 م، فأبّنه ابن الحديدي. له مؤلّفات عدّة ضاعت كلّها ولم تعرف إلاّ عن طريق ذكره هو لها في كتابه الأمم منها: كتاب في الرصد المشار إليه بـ« كتابي المؤلّف في إصلاح حركات النجوم » والكتاب الثاني: « جوامع أخبار الأمم من العرب والعجم » وكتاب « مقالات أهل النحل والملل » وآخر في « تاريخ الأندلس » و« تاريخ الإسلام » وأشهر هذه الكتب جميعا وأبقاها هو كتاب « طبقات الأمم » الذي ألّفه عام 460 هـ/1068 م. انظر حول حياته: « طبقات الأمم »: تحقيق حياة العيد بوعلوان، في المقدّمة التي وضعتها حول مؤلّف الكتاب، ص ص 16 – 29. وحاجي خليفة: كشف الظنون عن أساس الكتب والفنون، طبعة وكالة المعارف الجليلة، تركيا عام 1360 هـ/1941 م. المجلّد 2 ص 1096.

[41] طبقات الأمم: إنّ هذا الكتاب اتّبع فيه صاحبه طريقة تصنيف لم يسبق إليها ألّفه عام 460 هـ/1068 م، إذ أرّخ للعلوم بحسب الأمم والشعوب، ويعطي لعامل اللغة الصدارة في تكوين الأمّة، بينما يعطي المملكة الواحدة والأرض الواحدة أهميّة ثانويّة خاصّة في مرحلة تاريخيّة لاحقة.وعرفهذا الكتاب تحقيقات عدّة منها تحقيق الأب لويس شيخو الذي نشره سنة 1912 م في بيروتكثير الغلطاعتمد فيه علىنسخة لا أهميّة لها اشتراها فيدمشقسنة 1907 م،وهناك ترجمةبلاشير للكتاب بعنوان LivresdesCatégoriesdesNations، فقدّم ترجمة جيّدة ونقّح العديد من أخطاء الأب لويس شيخو مستعينا في ذلك بمخطوطة باريس وغيرها من المراجع الأجنبيّة والعربيّة التي ساعدته على تقديم النصّ بشكل أفضل. وأحسن تحقيق هو الذي قامت به حياة العيد بوعلوان، التي اعتمدت على عدّة نسخ مختلفة: فجاء تحقيقها وافيا شاملا، وكانت الطبعة الأولى في شباط/فبراير عام 1985 م. راجع مقدّمة التحقيق لطبقات الأمم ص ص 16 – 31.

[42] ابن مطران الدمشقي: (ت. 587 هـ/1991 م)، هو الحكيم العالم الفاضل موفق الدين أبو نصر أسعد بن أبي الفتح إلياس بن جرجس المطران، كان سيّد الحكماء وأوحد العلماء، وآخر الآلاء، جزيل النعماء، أمير أهل زمانه في علم صناعة الطبّ، وأكثرهم تحصيلا لأصولها.

= كان نصرانيّا فأسلم، وكان غزير العلم. ومات عام سبع وثمانين وخمسمائة (587 هـ/1191 م) بدمشق ودفن بقاسيون. ولموفق الدين بن مطران من الكتب: « كتاب بستان الأطبّاء وروضة الألبّاء » وله « المقالة الناصريّة في حفظ الأمور الصحيّة » و « المقالة النجميّة في التدابير الصحيّة » و « لغز في الحكمة » و « كتاب على مذهب دعوة الأطبّاء » و « كتاب الأدوية المفردة » لم يتم، و« كتاب آداب طبّ الملوك ».

(*) أمّا مؤلّفه « بستان الأطبّاء وروضة الألبّاء »؛ فهو حاوٍ لنصوص جامعة لكلّ ما يجده من ملح ونوادر وتعريفات مستحسنة ممّا طالعه أو سمعه من شيوخه أو قد نسخه من الكتب الطبيّة، جاءت تحت عناوين صغيرة مثل: تنبيه، تفهيم، إشارة، وصيّة، نكتة، حكاية، عجيبة، لمعة مع التواريخ والأسماء، وفيه تعريف للعلوم كالكيمياء، والماليخوليا، وأخبار كذكره زمن الفراغ من بناء بيمارستان ميافارقين، وحلول المرضى فيه للمعالجة في مستهلّ شهر شوّال سنة 417 هـ/1026 م، واقتباس من كتب أطبّاء آخرين مثل: كتاب الاعتماد لابن الجزار. ويذكر الدكتور سامي حمارنة أنّه فحص مخطوطين من هذا الكتاب، واحدة في تونس، والثانية في واشنطن وفيها عبر ونكت لها أهميّة تاريخيّة. انظر حوله:

- ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء، (ط. دار الثقافة)، ج 3، ص ص 287 – 298.
- ابن عماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ج 4، ص 288.
- حاجي خليفة: كشف الظنون، ج 8، ص 243.
- خير الدين الزركلي: الأعلام، قاموس تراجم، ط 2، مزيدة ومحلاّة بالخطوط والرسوم. (د. ت) و (د. ن) ج 1، ص 293.
- د. سامي حمارنة: الصناعة الطبية في العصر الإسلامي الذهبي، مجلّة عالم الفكر، الكويت، مج 10، ع 02، ص 318.

« تاريخ الحكماء » للوزير علي بن يوسف القفطي[43]، وقد حفظت مقتطفات مطوّلة لا بأس بها من هذا الكتاب.

أمّا المصنَّف الآخر فهو: « عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء »[**] من وضع ابن أبي أصيبعة[44]، وقد حفظ الكتاب الأخير في عدّة نسخ مخطوطة، وهو مصنَّف معجمي قسّم على أساس البلدان

والفترات الزمنيّة.

بعد هذا التتبّع الخططي لعمليّة التأريخ للطبّ في الحضارة العربيّة الإسلاميّة، سنقوم بدراسته من منظور آخر، وهو تحديد مفهومه لغة واصطلاحا كما ورد في المصادر العربيّة.

---

[43] القفطي: علي بن يوسف القفطي (ت. 646 هـ/1248 م)، هو ابن إبراهيم بن عبد الواحد بن موسى بن أحمد بن محمد بن إسحق بن محمد بن ربيعة الشيباني القفطي (الوزير)،ولد بقفط،وسمع الحديث من أبي طاهر بن بنان بمصر ،وبحلب من جماعة، مدحه ياقوت الحموي، وجمع من الكتب ما لا يحصى وقصد بها الآفاق ولم تكن له دار ولا زوجة، وله من المصنّفات: كتاب الدرّ الثمين في أخبار المتيّمين، كتاب الضاد والظاء، كتاب أخبار المصنّفين، كتاب أخبار النحويّين. وكتابه الشهير « إخبار العلماء بأخبار الحكماء » الذي اختصره الزوزني وسمّاه « المنتخبات الملتقطات من أخبار العلماء بأخبار الحكماء » وقد نشره ج. ليبيرت J. Leppert عام 1903 وأعيد طبعه دون تغيير، وهذه الطبعة مليئة بالأخطاء ولا تصلح مطلقا للاستعمال دون الرجوع إلى قوائم التعديلات غير الكاملة التي وضعها م. ج. دي خويا M. J. Degoeje نشرها في مجلّة الفكر الألماني سنة 1903 م. واعتنى كذلك بتصحيح هذا المؤلّف السيّد أمين خانجي بمقابلته على النسخة المطبوعة في ليبيسك وتطبيقه على النسخ الثلاث الخطيّة المحفوظة في دار الكتب الخديويّة بمطبعة السعادة، 1326
(ص 228). انظر: محمد شاكر الكتبي: فوات الوفيات، تحقيق إحسان عبّاس، دار الثقافة، بيروت، لبنان. طبع على مطابع دار صادر، 1974، مجلّد 3، ص ص 117 – 118. ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج 5، ص ص 477 – 494. ابن العماد: شذرات الذهب،
ج 5، ص 236. إلياس سركيس: معجم المطبوعات، ج 2، ص ص 1518 – 1519.

[**] ألّف ابن أبي أصيبعة كتبا مختلفة قد فقدت ولكنّه ذكرها في مؤلّفه الشهير عيون الأنباء منها: « كتاب حكايات الأطبّاء في علاجات الأدواء » و « كتاب إصابات المنجّمين » و « كتاب التجارب والفوائد » و « كتاب معالم الأمم وأخبار ذوي الحكم »، أمّا مؤلّفه الشهير « عيون الأنباء »، لقد تمّ وضع أوّل نسخة له في حدود عام 640 هـ في دمشق برسم الوزير أبي الحسن أمين الدولة بن غزال،
وزير الملك الصالح بن الملك العادل. ومنذ ذلك الحين، أضاف إليه المؤلّف عدّة زيادات وصلت بالتراجم إلى عام 667 هـ أي قبل وفاة
= المؤلّف بعام واحد، ولهذا السبب تختلف النسخ المخطوطة فيما بينها اختلافا كبيرا. فقد أمدّ بكتابه هذا الباحثين بشيء عن الطبّ الهندي واليوناني لم يكن ليصل إلينا بدونه، كما أمدّنا بتفاصيل عن الحياة الاجتماعيّة والطبيّة في العالم الإسلامي، لذلك صار مصدرا عظيم الأهميّة لدراسة تاريخ الطبّ عند المسلمين، ويحتوي كتابه على نبذ عن كتب أخرى فقدت منذ أمد بعيد، مثل ذلك نبذ من كتب جالينوس، وحنين النصراني، وابنه إسحاق، وعبيد الله بن جبرائل بن بختشيوع وغيرهم. وتمتاز تراجمه بالدقّة إذ بلغت أربعمائة ترجمة مع ذكر المؤلّفات الوفيرة سواء التي اطّلع عليها مباشرة أو سمع عنها أو عرفها من خلال مصادر أخرى وبهذا استطاع أن يعطينا صورة واضحة عن هذا الإنتاج الطبّي.
انظر حوله: ابن عماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج 5، ص 327؛ دائرة المعارف الإسلاميّة مج 5، ص 69. مجلّة المعرفة (تراث الإسلام) ج2، ص ص 279 – 280.

[44] ابن أبي أصيبعة: موفق الدين أبو العبّاس احمد بن سديد القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي سليل أسرة اشتهرت بالطبّ. ولد بدمشق عام 600 هـ/1203 م، وكنّي بـ(أبي العبّاس) قبل أن يطلق عليه جدّه (ابن أبي أصيبعة). وقد نشأ في بيئة حافلة بالدرس والتدريس، والتطبيب والمعالجة. درس في دمشق والقاهرة نظريا وعمليا وطبق دروسه في البيمارستان النوري وتتلمذ على يد أستاذه ابن البيطار صاحب كتاب « جامع المفردات »، وكان يتردّد على البيمارستان الناصري في القاهرة. وتولّى العمل في العديد من بيمارستانات القاهرة، ولكنّه تركها عام 635 هـ إلى بلاد الشام ملبّيا دعوة االأمير عزّ الدين أيدم صاحب صرخلد، ليشغل منصب طبيب الأمير ومات في هذه المدينة سنة 668 هـ/1270 م. انظر حوله: ابن عماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج 5، ص 327، دائرة المعارف الإسلامية، مج 5، ص 69، تراث الإسلام، مجلة المعرفة، ج 2، ص ص 279 – 280.

لـغـة:

جاء في لسان العرب لابن منظور (ت. 711 هـ/1311 م)[1]، في باب الطاء، مادّة طبب – الطبّ؛

« الطبّ علاج الجسم والنفس.

رجل طبّ وطبيب: عالم بالطبّ، تقول: ما كنتَ طبيباً، ولقد طَبِبْتَ بالكسر »[2].

« والمتطبّب: الذي يتعاطى علم الطبّ.

والطَّبُّ والطُّبُّ لغتان في الطِّبِّ. وقد طَبَّ، يَطُبُّ ويَطِبُّ وتَطَبَّبَ.

وقالوا: تَطَبَّبَ له: سأل له الأطبّاء. وجمع القليل: أَطِبَّةٌ، والكثير: أَطِبَّاءُ.

- وجاء رجل إلى النبيّ ρ ، فرأى بين كتفيه خاتم النبوّة، فقال: إن أذنت لي عالجتها؛ فإنّي طبيب. فقال له النبيّ ρ : طبيبها الذي خلقها لا أنت.
- وجاء يستطبّ لوجعه، أي يستوصف الدواء أيّها يصلح لدائه.
- والطِّبُّ: الرِّفقُ.
- والطَّبيبُ: الرَّفيقُ.
- والطَّبُّ والطَّبيبُ: الحاذق من الرجال، الماهر بعلمه ... وكلّ حاذق بعلمه طبيب عند العرب »[3].

« ورجل طَبٌّ، بالفتح أي عالم، يقال: فلان طبٌّ بكذا، أي عالم به؛ وفي حديث سلمان وأبي الدرداء: بلغني أنّك جعلت طبيبا. الطبيب في الأصل: الحاذق بالأمور، العارف بها، وبه سمّي الطبيب الذي يعالج المرضى، وكنّي به ههنا عن القضاء والحكم بين الخصوم، لأنّ منزلة القاضي من الخصوم، بمنزلة الطبيب من إصلاح البدن »[4].

---

[1] ابن منظور: هو أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن احمد الانصاري الإفريقي ثمّ المصري. كان ينسب إلى رويفع بن ثابت الأنصاري. ولد في المحرّم من سنة 630 هـ، وتلمذ لابن المغير ومرتضى بن حاتم وعبد الرحيم بن الطفيل ويوسف بن المخيلي وغيرهم. وكانت وفاته في سنة 711 هـ/1311 م. عمل ابن منظور في ديوان الإنشاء طوال حياته، وولي قضاء طرابلس وكان ميله إلى التشيّع ولكن دون مغالاة، كما كان محدثا أخذ عنه كثيرون، وكان عارفا بالنحو واللغة والتاريخ والكتابة، ترك عدّة آثار أهمّها « اللسان »، وهو معجم لغوي ضخم، كما أنّه اختصر كتاب الجامع لابن البيطار الأندلسي، من بين المطوّلات التي اختصرها التي يقال إنّها بلغت خمسمائة مجلّد. انظر حوله: ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد سيد جاد الحق، ط 2، القاهرة

1966 – 1967 (5 أجزاء)، ج 5، ص 31، السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويّين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 1، القاهرة 1964 – 1965 (جزءان)، ج 1، ص 248.

[2] ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، (د. ت) تحقيق عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، ج 4، باب الطاء، مادّة طبيب، العمود الثاني، ص 2630.

[3] ابن منظور: لسان العرب، ج 4، ص 2631.

[4] ابن منظور: المصدر السابق، ص 2631.

« والطِّبُّ والطبّ: السحر، قال ابن الأسلت:

ألا من مبلغ حسّان عنّي ∴ أطِبٌّ كان داؤك أم جنون ؟

ورواه سيبويه:[5] أسحر كان طبّك ؟ وقد طُبَّ الرجل. والمطبوب: المسحور.

قال أبو عبيدة:[6] إنّما سمّي السحر طُبّاً على التفاؤل بالبرء؛ قال ابن سيّده:[7] والذي عندي أنّه الحذق.

وفي حديث النبيّ ρ : أنّه احتجم بقرن حين طُبَّ؛ قال أبو عبيدة:[8] طُبَّ أي سُحر. يقال منه رجل مطبوب أي مسحور، كنّوا بالطبّ عن السحر تفاؤلا بالبرء كما كنّوا عن اللذيع فقالوا: سليم، وعن المفازة، وهي مهلكة؛ فقالوا: مفازة، تفاؤلا بالفوز والسلامة. قال: وأصل الطِّبِّ: الحذق بالأشياء والمهارة بها، يقال: رجل طبّ وطبيب، إذا كان كذلك، وإن كان في غير علاج المرض »[9].

وجاء في القاموس المحيط، في فصل الطاء: « الطِّبُّ: مثلّثة الطاء، علاج الجسم والنفسن يطُبُّ ويطِبُّ والرفق والسحر، وبالكسر الشهوة والإرادة والشأن والعادة، وبالفتح الماهر الحاذق بعمله كالطبيب والبعير يتعاهد موضع خفّه والفحل الحاذق بالضراب وتغطية الخرز بالطبابة كالتطبيب. (...)، أطبّة

---

[5] سيبويه: هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت. 177 هـ/792 م)، وهو أشهر تلاميذ الخليل بن أحمد، ولد في بلاد فارس، وقدم إلى البصرة فتعلّم فيها وألّف « الكتاب » الذي يعتبر أقدم مصنّف جمع مسائل النحو العربي كافّة. انظر حوله: الزبيدي: طبقات النحويّين واللغويّين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 1، القاهرة 1954، ص ص 67 – 74؛ القفطي: إنباه الرواة على أنباء النحاة تحقيق محمد
أبو الفضل إبراهيم، ط 1، القاهرة 1950، ج 2، ص ص 346 – 360، السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويّين والنحاة، ج 2،
ص ص 229 – 230.

[6] أبو عبيدة: هو معمر بن المثنّى (110 هـ/728 م – 210 هـ/825 م): عالم لغويّ بصري، ولد في البصرة من أبوين رقيقين من يهود فارس، وكان مولى لتيم قريش، هو من معاصري تلاميذ الخليل بن أحمد لكنّه لم يتأثّر بهم. وقد اشتهر بنزعته الدينيّة الخارجيّة وكان على مذهب الصفريّة، كما اشتهر بشعوبيّته وخاصّة بتأليفه كتابا في مثالب العرب، له كتاب النقائض، ومجاز القرآن. انظر حوله الزبيدي: طبقات النحويّين، ص ص 192 – 195، القفطي: إنباه الرواة، ج 3، ص ص 276 – 287، السيوطي: بغية الوعاة،
ج 2، ص ص 294 – 296، ابن العماد: شذرات الذهب، ج 2، ص ص 24 – 25، إلياس سركيس: معجم المطبوعات،
ص ص 322 – 223.

[7] ابن سيّده: هو علي بن إسماعيل (أحمد أو محمد) بن سيّده (ت. 458 هـ/1066 م)، لغويّ وأديب ومنطقيّ، ولد في مرسية بالأندلس، وتوفّي بدانية عشيّة يوم الأحد لأربع بقين من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وخمسين وأربعمائة، بالغا من العمر ستّين سنة أو نحوها. وكان ابن سيّده ضريرا مثل أبيه، درس على والده علم اللغة، وعلى أبي العلاء سعيد البغدادي، وأبي عمر أحمد بن محمد الطلمنكي وغيرهم، واتّصل ابن سيّده بالأمير مجاهد العامري، فلمّا توفّي اتّصل بخلفه الأمير الموفق. ولم يبق من مؤلّفاته إلاّ ثلاثة: كتاب المخصّص، وهو كتاب جامع
= في اللغة العربيّة؛ وكتاب المحكم والمحيط الأعظم، وهو معجم كبير في اللغة؛ وكتاب شرح مشكل المتنبّي. انظر حوله: السيوطي: بغية الوعاة، ص 327، ياقوت الحموي: إرشاد الأريب، ج 5، ص 84، دائرة المعارف الإسلاميّة، مج 1، ص 202.

[8] أبو عبيد: هو القاسم بن سلاّم الهروي أبو عبيد (154 هـ/770 م – 223 هـ/837 م)، هو عالم لغويّ ولد في هراة وكان أبوه عبدا روميّا. أخذ عن علماء الكوفة والبصرة من النحاة واللغويّين. قضى زمانا طويلا في خراسان ثمّ قدم بغداد ثمّ قصد مكّة للحجّ سنة 214هـ/829م، وبقي بها حتّى وفاته. من أهمّ ما ألّف كتاب « غريب المصنّف »، ورسالة فيما ورد في القرآن من لغات القبائل، وكتاب « غريب الحديث ». انظر حوله: الزبيدي: طبقات النحويّين، ص ص 217 – 221، القفطي: إنباه الرواة، ج 3، ص ص 12 – 23، ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج 16، ص ص 254 – 261، السيوطي: بغية الوعاة، ج 2، ص ص 243 – 254، ابن العماد: شذرات الذهب، ج 2، ص ص 54 – 55، سركيس: معجم المطبوعات، ص 121.

[9] ابن منظور: اللسان، ج 4، ص 2631.

وأطبّاء والمتطبّب متعاطي علم الطبّ، وإن كنت ذا طبٍّ فطبَّ لعينك، مثلّثة الطاء فيهما، ومن أحبّ طبّ تأنّى للأمور، وتلطّف وهو يستطبّ لوجعه يستوصف (...) »[10].

اِصطلاحا:

ورد في كتاب القانون: « الطبّ علم يتعرّف منه أحوال بدن الإنسان من جهة ما يصحّ ويزول عن الصحّة، ليحفظ الصحّة حاصلة ويستردّها زائلة »[11].

وجاء في « شرح موجز القانون لابن النفيس »[12] ذكر حدّ الطبّ: « الطبّ اصطلاحا علم بقوانين يتعرّف منها أحوال بدن الإنسان من جهة الصحّة وعدمها لتحفظ حاصلة وتحصل غير حاصلة ما أمكن »[13].

---

[10] الفيروز أبادي: القاموس المحيط، دار الكتاب العربي، (د. ت) أو بلد أو دار النشر، ج 1، ص ص 96 – 97.

[11] ابن سينا: القانون في الطبّ، دار صادر، بيروت، طبعة جديدة بالأوفست عن طبعة بولاق (د. ت)، ج 1، ص 3.

ابن سينا: هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن علي، ولد في مدينة بلخ عام 370 هـ (صفر)/أغسطس (سبتمبر) 980 م، أو في قرية أفشنة التي منها أمّه، كما يحكي ذلك عن نفسه في ترجمته. تعلّم على يد والده الذي كان أحد الإسماعيليّة، ويعتبر من اشهر العلماء المسلمين الموسوعيّين. كان أديبا وشاعرا وفيلسوفا ووزيرا وطبيبا، وإن كان الطبّ عليه هو الأغلب حتّى لقّب بـ« الشيخ الرئيس ». ومن مؤلّفاته: كتاب القانون في الطبّ الذي طبع أوّلا في روما سنة 1593 م، ثمّ طبع في القاهرة، بولاق سنة 1294 هـ/1877 م. وهناك عدّة دراسات قام بها باحثون مختلفو المشارب حول ابن سينا، منها دراسة المستشرق هولميارد عند دراسة إنتاج ابن سينا العلمي في مجال علم الكيمياء، كما أنّ جيرلامو رموسيو Geralamo Ramusio قام بترجمة كتاب القانون في النصف الثاني من القرن الخامس عشر، كما أنّ الأب جورج قنواتي قام بدراسة لمؤلّفات ابن سينا، كما أنّ إنتاجه الفلسفي اهتمّ بدراسة الكثير منهم: J. Forget (فورجيه) الذي قام بنشر كتابه « الإشارات والتنبيهات » في ليون عام 1892 م. كما قام ميرن Mehren بنشر رسالة ابن سينا في ماهية العشق عام 1889، ورسالة حي بن يقظان في السنة نفسها، وكذلك عبد الرحمن بدوي الذي قام بنشر كتابه « البرهان » بالقاهرة 1966 م. انظر حوله:

= القفطي: تاريخ الحكماء، ص ص 413 – 426، ابن أبي أصيبعة: العيون، ص 437 وما بعدها، ابن خلّكان: وفيات الأعيان، ج 2، ص ص 157 – 162، دائرة المعارف الإسلاميّة، ج 1، ص ص 203 – 207، عبد الرحمن بدوي: أبحاث المستشرقين في تاريخ العلوم عند العرب، مجلّة عالم الفكر، مج 9، ع 1، 1978، ص 20، الأب جورج قنواتي: مؤلّفات ابن سينا، جامعة الدول العربيّة، الإدارة الثقافيّة، دائرة المعارف، القاهرة، مصر 1950، وفاضل أحمد الطائي: الكيمياء والصيدلة عند العرب ضمن موسوعة الحضارة العربيّة الإسلاميّة، المجلّد الأوّل، ص ص 37 – 40.

[12] ابن النفيس: هو علاء الدين بن أبي الحزم بن النفيس (حوالي 607 – 687 هـ/1210 – 1288)، وتذكر المصادر أنّه يقال له ابن النفيس القرشي (بفتح القاف) نسبة إلى القرش، وهي قرية بمصر، ولكن ابن أبي أصيبعة يقول أنّها قريبة من دمشق، مع أنّ المصادر المترجمة له اختلفت في نسبة الاسم وإن كانت اتّفقت على أنّه ولد بالشام، وأنّه نشأ بدمشق قبل انتقاله إلى مصر، كما أنّها لم تذكر تاريخ مولده، وإن كان حاجي خليفة ذكر أنّه توفّي عن ثمانين سنة، وكما جاء في مخطوط رقم 1022 من السجلّ العربي القديم بباريس. أخذ ابن النفيس يتتلمذ في دمشق على عمران الإسرائيلي، ودرس صناعة الطبّ على يد ابن الدخوار وعلم النبات على يد ابن البيطار أثناء تواجده بدمشق، وكان صديقا لابن أبي أصيبعة وعبد اللطيف المهندس ويوسف السبتي. وترك من المؤلّفات الكثير إلاّ أنّه لا يعرف منها اليوم إلاّ القليل، مثل:كتاب الشامل في الطبّ وهو عبارة عن موسوعة طبيّة قال عنها بعض من ترجموا له أنّه في ثمانين سفر، ولكن لم يبق منه إلاّ فقرات في مكتبة البودليان بأكسفورد (رقم 536 – 539) وكتاب المهذّب في الكحل، موجود في مكتبة الفاتيكان (307 Arabo). وكتاب المختار من الأغذية لم تذكره المصادر المترجمة لابن النفيس، لكنّه موجود في مكتبة برلين، وكتاب شرح فصول أبقراط موجود في مكتبات برلين وجوتا وأكسفورد وباريس والأسكوريال، وفي آيا صوفيا نسخة منه مؤرّخة في 687 هـ/1288 م، أي سنة وفاته. وكتاب شرح القانون في عشرين مجلّدا، وتوجد منه نسخة في مكتبة أكاديميا طبّ نيويورك. وكتاب موجز القانون: وأصله موجود منه نسخ في باريس وأوكسفورد وفلورنسا وميونيخ والأسكوريال، وتوجد منه نسختان بالمكتبة الوطنيّة للطبّ بواشنطن تحت رقم44 .A – 43 .A؛ وأصله يقع في أربعة أجزاء، وله عدّة تعليقات وشروح، منها تعليق أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الحكيم (ت. 690 هـ/1291 م) وشرح سديد الدين الكازروني (ت. 745 هـ). انظر حوله: ابن أبي أصيبعة: العيون، ج 2، ص ص 196 – 200 – 221 – 244، و ج 3، ص ص 350 – 390؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ص 20؛ ابن خلّكان: الوفيات، ج 2، ص 78؛ وابن إياس: المختار من بدائع الزهور في وقائع الدهور، كتاب الشعب، القاهرة، مصر 1960، ص ص 90 – 92 – 93 – 101؛ وابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار في أخبار ملوك الأمصار، مخطوط 99 م، تاريخ، دار الكتب المصرية بالقاهرة، ج 7، ص 225 نقلا عن بول غاليونجي: ابن النفيس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1983، ص 195، يوسف العيش: مخطوطات دار الكتب الظاهرية، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، 1947، ص 306. وانظر سامي حمارنة في: Arabic manuscripts of the national library of the

أمّا في المقدّمة يعرّف حدّ الطبّ كالآتي: « ومن فروع الطبيعيّات صناعة الطبّ، وهي صناعة تنظر في بدن الإنسان من حيث يمرض ويصحّ؛ فيحاول صاحبها حفظ الصحّة وبرء المرض بالأدوية والأغذية، بعد أن يبيّن المرض الذي يخصّ كلّ عضو من أعضاء البدن، وأسباب تلك الأمراض التي تنشأ عنها، وما لكلّ مرض من الأدوية مستدلّين على ذلك بأمزجة الأدوية وقواها، وعلى المرض بالعلامات المؤذنة بنضجه وقبوله للدواء، أوّلا: في السجيّة والفضلات والنبض، محاذين لذلك قوّة الطبيعة؛ فإنّها المدبّرة في حالتي الصحّة والمرض، وإنّما الطبيب يحاذيها ويعينها بعض الشيء، بحسب ما تقتضيه طبيعة المادّة والفصل والسنّ، ويسمّى العلم الجامع لهذا كلّه علم الطبّ » [14]. ثمّ يضيف: « وربّما أفردوا بعض الأعضاء بالكلام وجعلوه علما خاصّا، كالعين وعللها وأكحالها، وكذلك ألحقوا بالفنّ منافع الأعضاء ومعناه المنفعة التي خلق لأجلها كلّ عضو من أعضاء البدن الحيوانيّ. وإن لم يكن ذلك من موضوع علم الطبّ، إلاّ أنّهم جعلوه من لواحقه وتوابعه »[15].

نودّ الآن أن نناقش مفهوم الطبّ من خلال التعريف اللغويّ والاصطلاحي له، فأوّل شيء يستوقف النظر، هو أنّ الطبّ على المستوى اللغوي يعني: علاج الجسم والنفس، ويفيد معنى الرفق والحذق والمهارة، بل والسحر للدلالة على البروء، وكذلك معنى وصف الدواء للداء.

أمّا على المستوى الاصطلاحي فالطبّ معناه علم بقوانين موضوعة للعلاج؛ فيتعرف بها على أحوال البدن الإنساني. لحفظ الصحّة حاصلة واستردادها زائلة، إذن الطبّ علم موضوعه جسم الإنسان، لأنّه فرع من « علم الطبيعيّات التي تهتمّ بالجسم من جهة ما يلحقه من الحركة والسكون؛ فينظر في الأجسام السماويّة والعنصريّة، وما يتولّد عنها من إنسان وحيوان ونبات ومعدن (...) وفي مبدإ الحركة للأجسام وهو النفس على تنوّعها في الإنسان والحيوان والنبات »[16].

وبما أنّ البدن هو موضوع علم الطبّ؛ فإنّه يبحث في حالاته المتغيّرة بين الصحّة والمرض، وهذا يستدعي من الطبيب معرفة الأعراض الدالّة على وجود المرض، والإحاطة بأسباب العلّة المرضيّة، وما هي الأدوية اللازمة لكلّ نوع من الأمراض، كما أنّ الطبّ يتوزّع على مجالين هما: المجال الوقائي والذي

---

medicine, Washington, D. C / journal for the history of arabic science institute for the history of arabic science, university of aleppo, Syria, p 101 – 102.

[13] بول غاليونجي: ابن النفيس، ص

[14] ابن خلدون: المقدمة، ص 917.

[15] ابن خلدون: نفس المصدر، ص ص 917 – 918.

[16] ابن خلدون: ن. م، ص 916.

يهتمّ بالمحافظة على سلامة الجسم من الإصابة بأيّ داء وما هي الطرق الكفيلة بذلك؛ والمجال الثاني هو الذي يخصّ الجانب العلاجي عند قفدان الصحّة وما يستدعيه من الحذق والمهارة والرفق في إبراء المرض.

ثمّ يخرج ابن خلدون من مدار التعريف أو الحدّ، موضوع منافع الأعضاء، أي الجانب الوظيفي للعضو من حيث الحاجة والمنفعة، لأنّه أقرب إلى المسائل والمباحث الفلسفيّة منه إلى مسائل الطبّ العمليّة، كما أنّه اعتبر أنّ الاختصاص في بعض الجوانب الجزئيّة كالعين وعللها وأكحالها (أدويتها)، هو كذلك خارج عن موضوع الطبّ، لأنّه يرى أنّ البدن بجملته موضوع للمباحث الطبيّة.

الطبّ إذن فرع من فروع العلوم الدخيلة، أو « علوم الأوائل »، وهو من زاوية منظور آخر علم مشترك بين سائر الأمم، وتستدعيه المدنيّة وأحوال الحضارةن ولذا لمّا سئل النبيّ ρ : « أفي الطبّ خير ؟ أجاب: أنزل الدواء الذي أنزل الداء »[17].

وهذا ابن خلدون يقرّر في مقدّمته « هذه الصناعة ضروريّة في المدن والأمصار، لما عرف من فائدتها؛ فإنّ ثمرتها حفظ الصحّة للأصحّاء، ودفع المرض عن المرضى بالمداواة، حتّى يحصل لهم البرء من أمراضهم »[18].

ويعلّل صاحب المقدّمة سبب تواجده في أهل الحضر والأمصار، ولماذا يقلّ الطبّ أو يكاد ينعدم في أهل البدو، بقوله: « واعلم أنّ أصل الأمراض كلّها إنّما هو من الأغذية (...) ثمّ إنّ أصل الأمراض ومعظمها هي الحميّات (...) ولهذه الحميّات علاجات بقطع الغذاء عن المريض أسابيع معلومة ثمّ تناوله الأغذية الملائمة حتّى يتمّ برؤه. وكذلك في حال الصحّة له علاج في التحفّظ من هذا المرض وغيره (...) ووقوع هذه الأمراض في أهل الحضر والأمصار أكثر، لخصب عيشهم وكثرة مأكلهم وقلّة اقتصارهم على نوع واحد من الأغذية، وعدم توقيتهم لتناولها. وكثيرا ما يخلطون بالأغذية (...)؛ فيصير للغذاء مزاج غريب، وربّما يكون بعيدا عن ملاءمة البدن وأجزائه. ثمّ إنّ الأهوية في الأمصار تفسد بمخالطة الأبخرة العفنة من كثرة الفضلات. (...) ثمّ الرياضة مفقودة لأهل الأمصار؛ فكان وقوع الأمراض كثيرا في المدن والأمصار، وعلى قدر وقوعه كانت حاجتهم إلى هذه الصناعة »[19].

---

[17] عبد الملك بن حبيب السلمي:كتاب طبّ العرب،تحقيق الأستاذ العربي الخطابي،ضمن مجموعة (الطبّ والأطبّاء في الأندلس الإسلاميّة)، ج1، ص 90، وورد الحديث بصفة أخرى في صحيح البخاري بلفظ « ما أنزل الله داء إلاّ انزل له شفاء » صحيح البخاري، طبع ونشر عثمان خليفة، عن الطبعة الأميريّة 1314 هـ، مكتبة عبد الحميد أحمد حنفي، مصر، الجزء 7، باب الطبّ، ص 122.

[18] ابن خلدون: المقدّمة، ص 739.

[19] ابن خلدون: نفس المصدر، ص ص 739 – 742.

ثمّ ينتقل للحديث عن أهل البدو؛ فيقول: « وأمّا أهل البدو فمأكولهم قليل في الغالب، والجوع أغلب عليهم لقلّة الحبوب، حتّى صار لهم ذلك عادة (...) ثمّ الأدم قليلة لديهم أو مفقودة بالجملة، وعلاج الطبخ بالتوابل والفواكه، إنّما يدعو إليه ترف الحضارة الذين هم بمعزل عنه (...) وأمّا أهويتهم فقليلة العفن، لقلّة الرطوبات والعفونات، إن كانوا آهلين، أو لاختلاف الأهوية إن كانوا ضواعن. ثمّ إنّ الرياضة موجودة فيهم من كثرة الحركة (...)؛ فيحسن بذلك كلّه الهضم ويجود (...)، فتكون أمزجتهم أصلح وأبعد عن الأمراض؛ فتقلّ حاجتهم إلى الطبّ. ولهذا لا يوجد الطبيب في البادية بوجه »[20].

وبهذه الكيفيّة في الأخير، يؤكّد ابن خلدون أنّ الطبّ، صناعة تستدعيها الحاجة والضرورة وحياة المدنيّة وأسباب المجتمع المتحضّر. وبهذا نصل إلى نهاية المبحث الأوّل الذي تناول الطبّ تأريخا واصطلاحا، وبهذا يمكننا الانتقال إلى دراسة المبحث الموالي الخاصّ بنشأة الطبّ في الأندلس وتطوّره.

[20] ابن خلدون: ن. م، ص 743.

2. الحركة الطبيّة في الأندلس ، النشأة والتطـوّر :

تحت هذا العنوان، سنناقش ما هي العوامل الأساسيّة التي ساعدت على نشأة الطبّ ببلاد الأندلس، ولأن يتطوّر ويصير علما قائما بذاته، له قواعده ووسائله ومناهجه الخاصّة به.

(أ)- العامل الأوّل: جمع الكتب.

أسهم هذا العامل بقسط وافر في تنشيط الحركة العلميّة ببلاد الأندلس(*)، إذ أنّ ثلّة من الأندلسيّين – كالأمراء والعلماء – إلى جانب ترحيبهم بأهل العلم من المشارقة؛ فقد عملوا على جمع الكتب النادرة والحصول عليها من مصادرها، وخاصّة الأمراء، أمثال الأمير الحكم المستنصر بن عبد الرحمن الناصر. إذ اتّخذ لنفسه ورّاقين بأقطار البلاد ينتخبون له غرائب التواليف، ووجّه رجالا إلى الآفاق بحثا عن الكتب، وكان يدفع فيها أثمانا عالية: « فحملت إليه من كلّ جهة حتّى غصّت بها بيوته وضاقت عنها خزائنه، وحتّى جمع منها ما لم يجمعه أحد قبله، إلاّ ما كان يضاهي ما جمعته ملوك بني العبّاس في الأزمان الطويلة، وتهيّأ له ذلك بفرط محبّته للعلم وبعد همّته في اكتساب الفضائل وسموّ نفسه إلى التشبّه بأهل الحكمة من الملوك؛ فأوجد بقرطبة(**) عددا من الكتبة والمجلّدين والمزخرفين والنسّاخين، وتحرّك الناس في زمانه إلى قراءة كتب الأوائل وتعلّم مذاهبهم »[21]، « وكان عدد فهارس مكتبته أربعا وأربعين فهرسة في كلّ واحدة خمسون ورقة، وربّما بلغ عدد الكتب أربعمائة ألف مجلّد، أغلبها كتب المشارقة »[22].

وترد تفاصيل مفيدة عن الدور الذي قام به الحكم المستنصر في إنشاء المكتبة الأمويّة بالقصر الأميري وهي أعظم مكتبات قرطبة، « وقد جمع في داره الحذّاق في صناعة النسخ والمهرة في الضبط والإجادة والتجليد »[23].

---

[21] صاعد الأندلسي: طبقات الأمم، ص ص 162 – 169.

[22] المقرّي: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عبّاس، دار صادرن بيروت 1388 هـ/1968 م، ج 1، ص 371.

[23] المقرّي: نفح الطيب، ج 1، ص 362.

(*) الأندلس: « هذه الجزيرة في آخر الإقليم الرابع إلى المغرب »، هذا قول الرازي. وقال صاعد في طبقات الأمم: « معظم الأندلس في الإقليم الخامس وطائفة منها في الإقليم الرابع كإشبيلية ومالقة وقرطبة وغرناطة والمرية ومرسية. واسم الأندلس في اللغة اليونانية بإشبانيا، والأندلس بقعة كريمة طيّبة ... والأندلس آخر المعمور في المغرب لأنّها متّصلة ببحر أقيانس الأعظم المعروف ببحر الظلمات ... ». انظر: صاعد: طبقات الأمم، ص ص 157 – 158. وأبو عبد الله الحميري: صفة جزيرة الأندلس، منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، معجم تاريخي وجغرافي، تصحيح ونشر ليفي بروفنسال (د. ت) و (د. ن)، الجزائر، ص ص 1 – 3.

(**) قرطبة: « قاعدة الأندلس، أمّ مدائنها، ومستقرّ خلافة الأمويّين بها، وآثارهم بها ظاهرة، وفضائل قرطبة ومناقب خلفائها أشهر من أن تذكر، وهم أعلام البلاد وأعيان الناس، إشتهروا بصحّة المذهب ... وكان فيها أعلام العلماء وسادة الفضلاء ... وهي في ذاتها مدن خمس يتلو بعضها بعضا، وبين المدينة والمدينة سور

إلى جانب هذا، نجد انّ الاهتمام باللغات الأعجميّة، كان عاملا أساسيّا متضمّنا في هذه الحركة العلميّة وهي جمع الكتب، لأنّ اللغة هي الإناء الذي يصاغ فيه فكر الأمّة وعبقريّتها، وهذا ما يذكره ابن جلجل عندما وصل الأندلس كتاب دسقوريدس الذي أهداه الملك أرمانيوس(*) إلى الأمير عبد الرحمن الناصر في جملة هداياه، وكذا كتاب هروسيس(**).

وهذه الحقيقة تتّضح من خلال الرواية التي يرويها العالم ابن جلجل، وكما نقلها ابن أبي أصيبعة عند حديثه عن صناعة الطبّ في بلاد الأندلس.

« وورد هذا الكتاب إلى الأندلس وهو على ترجمة اصطفن منه ما عرف له اسما بالعربيّة، ومنه ما لم يعرف له اسما؛ فانتفع الناس بالمعروف منه بالمشرق وبالأندلس إلى أيّام الناصر عبد الرحمن بن محمد، وهو يومئذ صاحب الأندلس؛ فكاتبه أرمانيوس الملك، ملك قسطنطينيّة، أحسب في سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة، وهاداه بهدايا لها قدر عظيم؛ فكان في جملة هديّته كتاب دسقوريدس مصوّر الحشائش بالتصوير الرومي العجيب. وكان الكتاب مكتوبا بالإغريقي الذي هو اليوناني، وبعث معه كتاب هروسيس صاحب القصص، وهو تاريخ للروم عجيب، فيه أخبار الدهور وقصص الملوك الأول، وفوائد عظيمة. وكتب أرمانيوس في كتابه إلى الناصر أنّ كتاب ديسقوريدس لا تجتنى فائدته إلاّ برجل يحسن العبارة باللسان اليوناني، ويعرف أشخاص تلك الأدوية، فإن كان في بلدك من يحسن ذلك فزت أيّها الملك بفائدة الكتاب، وأمّا كتاب هروسيس فعندك في بلدك من اللطينيّين من يقرأه باللسان اللطيني، وإن كشفتهم عنه نقلوه لك من اللطيني إلى اللسان العربي »[24].

ثمّ يضيف ابن أبي اصيبعة راويا عن ابن جلجل بأنّه لم يكن يومئذ بقرطبة من نصارى الأندلس من يقرأ باللسان الإغريقي؛ فبقي الكتاب بخزانة عبد الرحمن الناصر من غير ترجمة إلى اللسان العربي، مع وجود الترجمة التي تمّت بمدينة السلام بغداد على يد اسطفن. وبعث الخليفة الناصر إلى الملك أرمانيوس يطلب منه أن يبعث إليه بمن يتكلّم اللطيني والإغريقي ليكون له مترجمين؛ فجاوبه أرمانيوس الملك بأن أوفد إليه راهبا يدعى نقولا والذي دخل قرطبة سنة أربعين وثلاثمائة (340 هـ)؛ فكوّن فريقا من العلماء على رأسهم الراهب نقولا وحسداي بن شبروط الإسرائيلي، وجمع من علماء اللسان والنبات من بينهم ابن جلجل صاحب الرواية؛ فتحقّقوا من أسماء عقاقير كتاب دسقوريدس بالوقوف على أشخاص

حاجز، وفي كلّ مدينة ما يكفيها من الأسواق والفنادق ... وطولها من غربيها

إلى شرقيها ثلاثة أميال، وعرضها من باب القنطرة إلى باب اليهود ميل واحد. وهي في سفح جبل مطلّ عليها يسمّى جبل العروس ».

انظر: الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص ص 153 – 156.

(24) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ج 3، ص ص 75 – 76.

النبات بمدينة قرطبة؛ فتمّت لهم معرفتها وتصحيح النطق بأسمائها بلا تصحيف إلاّ القليل منها الذي لا بال له، وذلك يكون في مثل عشرة أدوية حسب رواية ابن جلجل[25].

يتبيّن لنا من هذه الرواية التاريخيّة عدّة نقاط أساسيّة:

1. دور السلطة في توجيه الحركة العلميّة، وفي إقامة المجامع اللغويّة والعلميّة، إذ كان الأمراء هم الذين يشرفون على عمليّة جمع الكتب وإقامة المكتبات وتكوين المترجمين، من أجل التحقيق والتنقيب، ولكن هل هذا كان مجرّد محاكاة وتقليد لما كان عليه أمراء المشرق أم أنّ هذا العمل كانت تحرّكه حوافز وأسباب أخرى ؟

ألا يدلّ على استقرار الأحوال واطّراد العمران والحضارة ؟ أم هو مؤشّر على وجود حالة من التفكّك، أو ضغوط داخليّة وخارجيّة محيطة بالمجتمع الأندلسي، الشيء الذي أدّى بالسلطة أن تعمل على تأسيس الحركة العلميّة بالأندلس ؟ هذا ما سنناقشه بالتفصيل في مبحث الطبّ في الأندلس الموضوع والمنهج.

2. الجانب الميداني العملي، الذي قام به العلماء عندما خرجوا إلى الريف الأندلسي لمعاينة أصناف الحشائش والتحقّق منها، يُعدُّ محكّا إجرائيّا سيعتمده من سيجيء من بعد لتأسيس علم النبات بكلّ ما يحمل الاصطلاح من معنى إذ صار النباتيّ إتنوغرافيّا[26].

---

[25] ابن أبي أصيبعة: نفس المصدر، ص ص 76 – 77.

= يقول ابن جلجل عند حديثه عن كيفيّة ترجمة كتاب دسقوريدس: « فبعث أرمانيوس الملك إلى الناصر براهب كان يسمّى نقولا؛ فوصل إلى قرطبة سنة أربعين وثلاثمائة، وكان يومئذ من الأطبّاء قوم لهم بحث وتفتيش، وحرص على استخراج ما جهل من أسماء عقاقير كتاب ديسقوريدس إلى العربيّة، وكان أبحثهم وأحرصهم على ذلك من جهة التقرّب إلى الملك عبد الرحمن الناصر، حسداي بن شبروط الإسائيلي، وكان نقولا الراهب عنده أحظى الناس وأخصّهم به، وفسّر من أسماء عقاقير كتاب ديسقوريدس ما كان مجهولا، وهو أوّل من عمل بقرطبة الترياق الفاروق على تصحيح الشجارية التي فيه. وكان في ذلك الوقت من الأطبّاء الباحثين عن تصحيح أسماء عقاقير الكتاب وتعيين أشخاصه، محمد المعروف بالشجار، ورجل كان يعرف بالبسباسي، وأبو عثمان الجزار الملقّب باليابسة، ومحمد بن سعيد الطبيب، وعبد الرحمن بن إسحق بن هيثم، وأبو عبد الله الصقلّي، وكان يتكلّم باليونانيّة ويعرف اشخاص الأدوية. وكان هؤلاء النفر كلّهم في زمان واحد مع نقولا الراهب، أدركته وأدركت نقولا الراهب في أيّام المستنصر، وصحبتهم في أيّام المستنصر الحكم ». انظر: ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ج 3، (ط. دار الثقافة) ص ص 76 – 77.

[70] الإنتنوغرافيّة: « هي وصف كامل لثقافة شاملة عند مجموعة بشريّة معيّنة »، وخاصّة إذا كان البحث مقيّدا بميدان علميّ محدود ومضبوط مثلما هو الشأن بالنسبة إلى نقلة الطبّ والصيدلة من اللغة اليونانيّة أو غيرها من اللغات إلى اللغة العربيّة. فمن الضروري في هذه الحال للمترجم أن يكون إنتوغرافيا لفهم التعريفات المرجعيّة (Définitions rèfèrentielles) الدقيقة للاصطلاحات النباتيّة والحيوانيّة والمعدنيّة المقصودة بالنقل إلى العربيّة، وفهم دلالات (Signes) النصوص الطبيّة والصيدلانيّة الأعجميّة والنفاذ إلى مدلولاتها الدقيقة يعتمد على الأشياء التي تعنيها واكتساب المعرفة بالتعريفات اللغويّة الصحيحة للملفوظ (Enoncé)، ومن ثمّة يمكن وضع الاصطلاح العربيّ الصحيح المقابل للاصطلاح الأعجمي الأصلي. والرواية التاريخيّة التي أوردها ابن أبي أصيبعة نقلا عن ابن جلجل، الآنفة الذكر، تدلّ على تلك المحاولة الأولى من الملك عبد الرحمن الناصر لتكوين أوّل فريق علمي إتنوغرافي متخصّص في الترجمة بمعناها الدقيق، بل حتّى فيما بعد ابن البيطار الذي من خلال رحلاته المتعدّدة عبر إفريقية وآسيا الصغرى وبلاد فارس، حاول أن يكون إتنوغرافيّا لمعرفة أسماء الأدوية الأعجميّة وخاصّة منها اللاتينيّة والبربريّة واليونانيّة.

انظر حول مسألة الترجمة: Georges Mounin, Les problèmes théoriques de la traduction, 1ère ed, coll, Tel, Gallimard, Paris 1963, (297 pages), pp 234 – 239.

3. عمليّة الترجمة من اللسان اليوناني إلى العربي، وما لم يوجد له مقابل بالعربيّة يترجم إلى اللاتيني، والذي لم يعرف له ما يرادفه باللاتينيّة كتب بالحرف العربي مع بقائه على وضعه الأصلي، وهذا معناه إيجاد قواعد للتقييس، صوتيّة وصرفيّة خاصّة تخضع لها العمليّة الترجميّة حتّى لا يتغيّر المعنى، ومن ثمّة أضحت ظاهرة الاقتراض اللغوي[27] أكثر اطّرادا وتواترا، وهذا ما سيكون له أثر فيما بعد لتحديد ماهية القاموس الطبّي الأندلسي.

4. هذا النوع من العمل العلمي – المعرفي يدلّ على وجوب توفّر مؤهّلات علميّة خاصّة في مجال علم النبات الذي يُعدُّ الدعامة أو الأساس لعلم الصيدلة حتّى يتمكّن الصيدلاني من معرفة الخصائص النباتيّة المؤثّرة في النظام الغذائي لدى الإنسان، ومنها يستطيع معرفة الأدوية المفردة أو المركّبة وقوّة كلّ دواء ومجال استعماله.

(ب)- العامل الثاني: دور الحكّام.

يظهر أثر هذا العامل الثاني في تحديد اتّجاه الحركة الطبيّة في الأندلس، أوّلا من خلال الدور الذي قام به الأمير الحكم في تقريب العلماء، وجمع الكتب، وإنشاء المكتبات، وتكوين لجنة من العلماء أوكل إليهم أمر ترجمة كتاب خصائص الأعشاب والحشائش لديسقوريدس. ولقد تعرّضنا بالتفصيل لهذه الأمور المنضوية تحت العامل الأوّل الآنف الذكر، لكن هناك جانب آخر كان له أبلغ الأثر في تحديد نمط الحركة العلميّة – المعرفيّة الأندلسيّة، وهذا العامل الذي ألمحنا إليه بـ « دور الحكّام »، استنطقنا حقيقته من خلال الرواية التي نقلها القاضي صاعد في كتابه « طبقات الأمم »، والتي جاء فيها ما يلي: « ووُلِّيَ بعده – أي بعد الحكم – ابنه هشام المؤيّد بالله، وهو يومئذ غلام لم يحتلم بعد، فتغلّب على تدبير ملكه بالأندلس حاجبه أبو عامر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي عامر محمد بن الوليد بن

---

[27] أصل اصطلاح « الاقتراض » هو (Emprunt) الأعجمي، وهو الاصطلاح الذي سيستعمل في كامل بحثنا. ويفضّل اصطلاح « الاقتراض » على غيره من الاصطلاحات المستعملة في العربيّة وخاصّة اصطلاح « الاستعارة »، لاعتبار « الاقتراض » أوفى بالغرض المقصود من الاصطلاح الأعجمي نفسه. ذلك أنّ اصطلاح « الاستعارة » اصطلاح عربيّ قديم عرف باستعماله في ميدان مخصوص وهو « علم البيان » فهو ذو مدلول عربيّ خاصّ. وهو أصلح لأن يستعمل لترجمة الاصطلاح الأعجمي (Emprunt intérieur)، أي ما يقع داخل اللغة الواحدة نفسها من توليد لغويّ، كأن يستعار لفظ « السيّارة » – وهو اسم القافلة في اللغة العربيّة القديمة – (ولقد ذكر هذا اللفظ في سورة يوسف/الآية 10 – 11)، فيطلق على العربة الآليّة (L'automobile)، وهذا الاصطلاح الأعجمي بدوره لو ينقل بحرفيّته إلى العربيّة سيترجم إلى « حركة ذاتيّة » أو « ذاتيّ الحركة » أو « متحرّك ذاتيّ » أو « ذاتيّ التحرك »، لأنّ « Auto » تعني ذاتيّ و« Mobile » تعني متحرّك. أمّا اصطلاح « الاقتراض » ففيه معنى الأخذ و « التبادل »، وخاصّة في ميادين الاقتصاد والحضارة عامّة. وهو لذلك أصلح لأن يستعمل للدلالة على ما تأخذه لغة من لغة أخرى غيرها. فيكون لذلك ترجمة لاصطلاح (Emprunt éxtérieur)، وهذه هي الظاهرة اللغويّة الحضاريّة المعنيّة في دراستنا.

انظر لمزيد من الاطّلاع: إبراهيم بن مراد: المصطلح الأعجميّ في كتب الطبّ والصيدلة العربيّة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 1، 1985، ج 1، ص ص 87 – 88، والهامش رقم 254.

يزيد بن عبد الملك بن عامر المعافري القحطاني وعمد أوّل تغلّبه عليه إلى خزائن أبيه الحكم الجامعة للكتب المذكورة وغيرها وأبرز ما فيها من ضروب التواليف بمحضر خواصّه من أهل العلم بالدين وأمرهم بإخراج ما في جملتها من كتب العلوم القديمة المؤلّفة في المنطق وعلم النجوم وغير ذلك من علوم الأوائل، حاش كتب الطبّ والحساب؛ فلمّا تميّزت من سائر الكتب المؤلّفة في اللغة والنحو والأشعار والأخبار والطبّ والفقه والحديث، وغير ذلك من العلوم المباحة بمذاهب الأندلس إلاّ ما أفلت منها في أنّها الكتب، وذلك أقلّها، فأمر بإحراقها وإفسادها، فأحرق بعضها وطرح بعضها في آبار القصر، وهيل عليها التراب والحجارة، وغيّرت بضروب من التغايير، وفعل ذلك تحبّبا إلى عوامّ الأندلس، وتقبيحا لمذهب الخليفة الحكم عندهم؛ إذ كانت تلك العلوم مهجورة عند أسلافهم مذمومة بألسنة رؤسائهم، وكان كلّ من قرأها متّهما عندهم بالخروج عن الملّة مظنونا به الألحاد في الشريعة؛ فسكن أكثر من كان تحرّك للحكمة عند ذلك وخمدت نفوسهم وتستّروا بما كان عندهم من تلك العلوم »[28].

يتّضح لنا من الرواية التاريخيّة هذه عدّة أمور أهمّها:

1. الصورة الدقيقة التي رسمها القاضي صاعد لحالة العلوم، توضّح بجلاء أثر التقلّبات السياسيّة في الحركة العلميّة؛ إذ أنّ فعل المنصور لم يكن إلاّ تحبّبا إلى عوامّ الأندلس وتقرّبا من الفقهاء لمساعدته وللاعتراف به، وليزيل أثر الحكم من نفوس العامّة[29].

2. إنّ إتلاف ذخائر مكتبة الحكم، يعتبر من الجانب الثقافي والحضاري خسارة لا تقدّر فداحتها؛ أمّا إتلاف كتب المنطق والفلسفة والكيمياء بحجّة أنّها من العلوم المذمومة عند السلف، ليدلّ على تأثير حركة الفقهاء المذهبيّة والنصيّة، لذا كانت علوم الشريعة واللسان العربي هي السائدة.

3. بقاء كتب الطبّ والفرائض والحساب وإبعادها عن هذا الإتلاف باعتبارها علوما عمليّة متّصلة بالحياة اليوميّة خاضعة للتجريب والممارسة، فعلم الحساب ينتفع به في مسائل التجارة والأموال، وعلم الفرائض يستفاد به في مسائل الميراث، والطبّ يُحتاج إليه لحفظ الصحّة ودفع الداء، فهي علوم ضروريّة لتحقيق مقاصد الشريعة، وهذا تأكيد لسلطة الفقهاء في المجتمع الأندلسي والدولة.

4. اِتّهام كلّ من يهتمّ بشيء من العلوم الطبيعيّة والفلسفيّة بالخروج عن الملّة وبالإلحاد في الشريعة، أدّى ذلك إلى نشوء حركة داخليّة في المجتمع، كما جاء على لسان صاعد بقوله: « فسكن أكثر من كان تحرّك للحكمة عند ذلك وخمدت نفوسهم وتستّروا بما كان عندهم من تلك العلوم ».

---

[28] صاعد: طبقات الأمم، ص ص 163 – 164.

[29] سنتناول هذه المسألة بتوسّع في مبحث: الطبّ في الأندلس، الموضوع والمنهج.

وهذه الحركة المستترة لم تكشف عن نفسها إلاّ في عصر دول الطوائف، بعد أن أمن العلماء والفلاسفة من المتابعة والحجر على علومهم، لكن النزعة الفقهيّة بقيت مستمرّة ممتدّة إلى أيّام ابن رشد الفيلسوف، إذ أنّ هذا الأخير لم ينْجُ من تهمة الزندقة والبدعة في الدين.

وبعد الانتهاء من عرض العوامل المؤثّرة في تحديد اتّجاه الحركة الطبيّة في الأندلس، سنتطرّق إلى أهمّ المراحل التاريخيّة التي عرفها الطبّ الأندلسي في سير تطوّره منذ النشأة إلى أيّام الطبيب أبي مروان عبد الملك بن زهر الإيادي.

تذكر مصادر تاريخ العلوم عند المسلمين أنّ أوّل من اشتهر بالطبّ في الأندلس، حمدين بن أبان[30] من أهل قرطبة، ومن ناحية التأليف في علم الطبّ نجد أنّ شخصا يدعى عبد الملك بن حبيب السلّمي الإلبيري[31] أوّل من ألّف كتابا جمع فيه أخبارا عن الطبّ العربي القديم، وسمّاه « مختصر في الطبّ »[32].

---

[30] حمدين بن أبان: ورد اسمه في المصادر بصور مختلفة: حمد بن أبّا، وأحمد بن إياس، وحمدين بن أبان، وهو من أهل قرطبة، عاش في أيّام الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط، وكان طبيبا حاذقا مجرّبا، وهو من ذوي الجاه والثراء بقرطبة. قال عنه صاعد: « إنّه أوّل من اشتهر بالطبّ في الأندلس ».

انظر: – صاعد الأندلسي: طبقات الأمم، ص 186.

– ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ج 3، ص 65.

[31][76] عبد الملك بن حبيب: هو أبو مروان عبد الملك بن حبيب السلّمي الإلبيري، من رجال القرن الثالث الهجري، وهو من إلبيرة، ولد حوالي عام 185 هـ بقرية قورت، وقيل بحصن واط من خارج غرناطة، وقال البعض أصلا من طليطلة وانتقل جدّه سليمان إلى قرطبة، وانتقل أبوه إلى إلبيرة بسبب فتنة الربض. تلقّى العلم بالأندلس وروى عن صعصعة بن سلاّم والغازي بن قيس وزياد بن عبد الرحمن، ثمّ رحل إلى المشرق سنة ثمان ومائتين (208 هـ)، فحلّ بمصر وبالمدينة المنوّرة، وسمع عن عدد من أصحاب مالك بن أنس، وانتهى من الرحلة سنة عشر ومائتين (210 هـ)، وقد جمع علما كثيرا وعاد إلى الأندلس، فنزل بلدة إلبيرة؛ فاستدعاه الأمير عبد الرحمن بن الحكم إلى قرطبة، ورتّبه في طبقة المفتين بها. وله من التآليف الكثير، إذ ألّف في الفقه والتواريخ والأدب، ومنها الكتب المسمّاة بالواضحة في السنن والفقه، والجوامع، وكتاب فضائل الصحابة وكتاب في الطبّ بعنوان « مختصر في الطبّ » الذي قام بتحقيقه كلّ من كاميليو آلباريث دي موراليس Camilo Alvarez de Morales وفيرناندو خيرون إيريست Fernando Giron Irueste، تحت إشراف المجلس الأعلى للأبحاث العلميّة، معهد التعاون مع العالم العربي، وهو المذكور عند أبي القاسم الغسّاني الوزير (ت.1019 هـ/1611 م) بـ« كتاب طبّ العرب » وذلك في كتابه « حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار ». وإن كان يرى بعض الدارسين أنّ كتاب طبّ العرب مستقلّ بذاته، وهو قسمان، الأوّل: يتعلّق بالطبّ النبوي فيه جملة من الأخبار الواردة في مسائل الطبّ والأدوية، وفيه طائفة من الأحاديث النبويّة وأقوال الصحابة والتابعين وتقريراتهم مع اجتهادات أئمّة الفقه؛ أمّا القسم الثاني: فهو كتاب علمي متأثر بالقاليانية المستعربة، فيه معلومات عن الأدوية والأغذية والأمزجة، والطبائع والأخلاط، وقد استقى ابن حبيب المتوفّى عام 238 هـ، معلوماته من بعض رواة الأخبار كرهب ابن منبه (ت. 114 هـ/732 م)، كما استقاها من أهل المدينة ممّن لهم معرفة بالطبّ، وهذا ما يدفع إلى الظنّ بأنّ المعلومات الطبيّة التي يقال إنّها وصلت إلى المسلمين عن طريق الكتب المترجمة من اليونانيّة أو السريانيّة في القرنين الثاني والثالث الهجريّين، كانت معروفة لدى العرب في عصر بزوغ الإسلام وقبله؛ فهل جاءتهم عن طريق المدارس التي كانت في شمال الجزيرة العربيّة كمدرسة الرها ومدرسة جنديسابور ؟ كما يعتبر كتاب ابن حبيب هذا هو أوّل كتاب صنّف في العربيّة في موضوع الطبّ النبوي، وذلك قبل أبي بكر السنّي (346 هـ)، وأبي نعيم أحمد الأصبهاني (430 هـ)، والحافظ الذهبي (748 هـ)، وابن القيّم الجوزيّة (751 هـ) وعبد الرحمن السيوطي (911 هـ).

انظر حوله: – القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق د. أحمد بكير محمود، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت / دار مكتبة الفكر، طرابلس، ليبيا (د. ت)، ج 3، ص ص 30 – 48.

– ابن حزم: رسالة في فضل رجال الأندلس، ضمن رسائل ابن حزم، تحقيق د. إحسان عبّاس، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر، ط 1401/1 هـ – 1980 م، ج1، ص 419.

– ابن العماد: شذرات الذهب (نفس البيانات السابقة)، ج 2، ص 90.

– المقرّي: نفح الطيب، تحقيق د. إحسان عبّاس (نفس البيانات السابقة)، ج 1، ص ص 5 – 8.

كما يوجد معلم آخر حدّد مصير الطبّ في الأندلس، ألا وهو معلم النزعة التأصيليّة التي ميّزت الحركة العلميّة والثقافيّة الأندلسيّة، إذ في عهد الحكم، تمّ ترجمة كتاب « الحشائش » لديسقوريدس[33]، تحت إشراف الأمير نفسه، الذي كوّن مجموعة من الأطبّاء كلّفت بدراسة الكتاب والتحقّق من مادّته العلميّة، بطريقة ميدانيّة إجرائيّة، كما مرّ بيانه من قبل.

كما نجد بالمقابل بروز ابن جلجل الأندلسي[34] بأوّل موسوعة طبيّة وضعت في القرن الرابع الهجري، وهذه الموسوعة المعروفة بعنوان « طبقات الأطبّاء والحكماء »[35]، تعتبر من أهمّ مصادر تاريخ الطبّ، بحيث تتضمّن معلومات مفيدة عن أطبّاء الأندلس وحكمائها مع تراجم عدد من الأطبّاء الإغريق والسريان والروم والعرب، من غير الأندلسيّين، وهذا الكتاب اعتمد عليه كلّ من القاضي « صاعد » في

= – Camilo Alvarez de Morales, Fernando Giron Irueste: Ibn Habib (m. 280/853): Mujtasar Fi – L – TIBB (Compendio de Medicina), consyo superior de investigaciones ceintificas, instituto de cooperation con El Mundo Arabe, impreso en Espana, Madrid 1992, pp 11 – 39.

– Francisco Franco Sanchez: Evolucion de la medicina en Al–andalus, revue d'etudes Andalouses, Juin 1994, N° 12, p 11.

أو انظر ترجمة هذه الدراسة باللغة العربيّة بعنوان: « تطوّر الطبّ في الأندلس »، ترجمة د. جمعة شيخة و أ. الشاذلي النفطي، المجلّة العربيّة للثقافة، السنة 14، العدد 27، ربيع الأوّل 1415 هـ – سبتمبر (أيلول) 1994، تحت إشراف المنظمّة العربيّة للتربية والثقافة والعلوم، عدد خاصّ بالتاريخ العربي في الأندلس، ص 186.

– F. Giron Irueste Y. C. Alvarez de Morales: « La faceto médica del granandino Abd Al–Malik B. Habib », Andalucia Islamica, Textos Y Estudios II III (1981 – 1982), pp 125 – 127.

– محمد العربي الخطابي: عبد الملك بن حبيب وكتابه طبّ العرب، دعوة الحقّ، عدد 260، سنة 1986، ص ص 70 –72. ولنفس المؤلّف عبد الملك بن حبيب السلمي (كتاب طبّ العرب) ضمن مجموعة الطبّ والأطبّاء في الأندلس الإسلاميّة، ج 1، ص ص 85 – 89.

– أبو القاسم الغساني الوزير (1019 هـ/1611 م): حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار، تحقيق محمد العربي الخطابي، دار الغرب الإسلامي، ط 1، بيروت، لبنان 1405 هـ/1985 م، ص 46.

[33] ديسقوريدس: هو بدانيوس ديسقوريدس Pedanios Dioscoridès العين زربي نسبة إلى عين زربة (Anazarba) الموجودة الآن في تركيا بمنطقة قليقيا (Cilicie). وقد كانت ولادته فيها في أواسط النصف الأوّل من القرن الميلادي الأوّل. إعتنى بالطبّ اعتناء كبيرا، فدرس جلّ ما ألّفه سابقوه من اليونان، على أنّ الذي عمّق معارفه، خدمته العسكريّة في صفوف الجيش الروماني حوالي سنة 45 إلى حوالي 75 م، وتنقّل مع الجيش في بلدان كثيرة خاضعة للسلطة الرومانيّة، فحصل في تجواله على الكثير من معرفة نباتات كثيرة استغلّها في وضع كتابه « المقالات الخمس »، ويعرف في المصادر العربيّة بـ« كتاب الحشائش » والذي كان له أبعد الأثر في الدراسات الصيدليّة والنباتيّة، خصوصا عند العرب وعند الأوربيّين في القرون الوسطى.

انظر حولـه: – ابن النديم: الفهرست (ط. فلوغل) ص 2693، القفطي: تاريخ الحكماء: ص ص 183 – 184.

– إبن أبي أصيبعة: عيون الأنباء (طبعة مولر)، ج 1، ص 35.

– إبن البيطار المالقي: (ت. 646 هـ/1248 م): تفسير كتاب دياسقوريدس، تحقيق إبراهيم بن مراد، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان 1989، ص ص 42 – 43.

– إبراهيم بن مراد: انتقال مقالات ديوسقريديس إلى الثقافة العربيّة، ترجمة ومراجعة وشرحا ضمن كتابه دراسات في المعجم العربي، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان 1987 م، ص ص 227 – 268.

[34][79] لقد سبقت الإشارة إلى أهميّة كتاب طبقات الأطبّاء لابن جلجل عند التعريف به في مبحث « الطبّ تاريخا واصطلاحا ».

« طبقات الأمم »، وابن أبي أصيبعة في « عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء »، ولابن جلجل كتاب ثانٍ هو « تفسير أسماء الأدوية المفردة من كتاب ديسقوريدس »، ولم يصل من هذا الكتاب سوى قطعة محفوظة بدار الكتب الوطنيّة في مدريد[36]، وتتجلّى أهميّة هذا المؤلّف في أمرين:

- *أوّلهما:* أنّه كان من المصادر الرئيسة التي اعتمدها عدد من المؤلّفين الأندلسيّين الذين جاءوا بعد ابن جلجل، وفي مقدّمتهم صاحب كتاب « عمدة الطبيب في معرفة النبات »[37]، كما اعتمد عليه كلّ من الغافقي في « الأدوية المفردة » وابن البيطار في « الجامع لمفردات الأدوية والأغذية »[*].
- *ثانيهما:* هو ما اشتملت عليه مقدّمة كتاب ابن جلجل المذكور من معلومات تتعلّق بدخول كتاب ديسقوريدس إلى الأندلس، وترجمته ترجمة ثانية إلى العربيّة، أكمل وأوضح من الترجمة التي قام بها إصطفن بن بسيل في القرن الثالث الهجري، وأصحّ من تصحيح حنين بن إسحاق[38].

يعتبر عمل ابن جلجل هذا معلما بارزا في تحديد مسار تطوّر الحركة الطبيّة في الأندلس، وبجانب هذا الإنجاز نجد شخصيّة علميّة أخرى ختمت نهاية القرن الرابع الهجري بعمل ترك بصماته

---

[36] انظر: فؤاد السيّد، مقدّمة تحقيقه لكتاب « طبقات الأطبّاء والحكماء » ص (يع) نقلا عن: محمد العربي الخطابي: الطبّ والأطبّاء، ج 1، ص 18، الهامش رقم 21. وابن البيطار: تفيسر كتاب ديسقوريدس، تحقيق: إبراهيم بن مراد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1989 م، ص 10، الهامش رقم 1.

[37] مؤلّف كتاب « عمدة الطبيب » مجهول، وإن كان البعض نسبه إلى محمد بن أحمد بن عبدون الإشبيلي (من القرنين الخامس والسادس الهجريّين/ الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين)، وقد كاد هذا المعجم، لكثرة استعمال المؤلّف فيه الاصطلاحات اللاتينيّة، يصبح معجما لاتينيّا عربيّا، وقد نشر في إسبانيا سنة 1943. وتوجد نسخة من هذا المخطوط بالمكتبة العامّة بالرباط حسب قول الأستاذ العربي الخطابي، إلاّ أنّنا عند اطّلاعنا على فهرس الخزانة لم نجد له ذكرا، وتوجد له كذلك نسخة مغربيّة مخطوطة في الأكاديميّة الملكيّة
للتاريخ بمدريد.
انظر حوله:

- Asin Palacios: Umdat Al-Tabib, Glosario de Voces romances registrades por un botanico anonimo hispano-musulman (Siglos XI - XII) 1ère ed, Madrid, Grenada 1943.

وانظر أيضا:

- Juan Vernet: La cultura hispanoarabe en oriente y occidente, traduit de l'espagnol en francais par Gabriel Martinez Gros sous le titre: ce que la culture doit aux Arabes d'espagne, sindbad, 1ère ed, Paris 1985, p 57.

وكذلك بحث: Pena (c) وغيره: « Corpusmedicorum Arabico-Hispanorum », in Awràq (Madrid), 4 (1981), (pp 79 - 111), p 87.
وانظر كذلك: محمد العربي الخطابي وتحقيقه لكتاب: « حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار » لأبي القاسم الغسّاني الشهير بالوزير (1019 هـ/1611 م)، دار الغرب الإسلامي، ط 1، بيروت 1985 م، صفحات ك - ص.

[*] سنورد الكلام عن الغافقي وابن البيطار في مكانه.

[38] انظر بخصوص: كيفيّة انتقال كتاب ديسقوريدس إلى الأندلس، الدراسة التي قدّمها الباحث إبراهيم بن مراد بعنوان: انتقال مقالات ديسقوريدس إلى الثقافة العربيّة ترجمة ومراجعة وشرحا (في منهجيّة نقل العلوم الأعجميّة إلى العربيّة)، ضمن كتابه:دراسات في المعجم العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1987، ص ص 227 - 270؛ وكذلك ابن البيطار: تفسير كتاب دياسقوريدس في الأدوية المفردة، تحقيق إبراهيم بن مراد، ص ص 42 - 55.

واضحة الأثر، ألا وهو الطبيب أبو القاسم الزهراوي[39]، واضع أوّل موسوعة طبيّة في علم الجراحة وسمّاها « التصريف لمن عجز عن التأليف »[40]، إنّ هذا المؤلّف كان له أثر بالغ في تطوّر علم الطبّ

[39] الزهراوي هو أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي، لا يعرف عن حياته كثيرا، إذ لا يعرف تاريخ ولادته، ولم يذكره سليمان بن جلجل في كتابه « طبقات الأطبّاء والحكماء » ولا صاعد الأندلسي في « طبقات الأمم » مع أنّ كلاّ منهما كان معاصرا للزهراوي، إذ أنّ ابن جلجل فرغ من تأليف كتابه عام 377 هـ، وفي هذا التاريخ كان أبو القاسم تجاوز الخمسين من عمره، وقضى في مزاولة مهنة الطبّ والجراحة نحو ثلاثين سنة، ومع ذلك لم يؤلّف بعد « موسوعته "التصريف" »، فهل كان ابن جلجل يجهل وجوده أم لم يكن بالمكانة التي تجعله جديرا بأن يؤرّخ له ؟

أمّا صاعد الأندلسي الذي ألّف « طبقات الأمم » عام 460 هـ/1068 م، فإنّه عاش بعد وفاة الزهراوي بزمن قصير، ومع ذلك لم يذكر عنه أيّ شيء. كما أنّ أبا الوليد الفرضي (ت. 403 هـ) لم يذكر عنه أيّ شيء في « تاريخ العلم ورواة العلم في الأندلس ».

أمّا الذين ذكروه، فمنهم تلميذه أبو عبد الله محمد بن فتوح الحميدي (ت. 488 هـ/1095 م)، الذي قدّم في كتابه « جذوة المقتبس » معلومات عنه، إذ قال: « من أهل الفضل والدين والعلم، وعلمه الذي سبق فيه علم الطبّ، وله فيه كتاب مشهور، محذوف الفضول، سمّاه كتاب "التصريف لمن عجز عن التأليف"، ذكره أبو محمد علي بن أحمد [أي ابن حزم] ».

أمّا أحمد بن عميرة الضبي (ت. 599 هـ/1202 م)، فقد اكتفى بنقل ما كتبه الحميدي نقلا حرفيّا، أمّا مؤرّخو العلوم الذين ذكروه من الأندلسيّين فمنهم: ابن حزم (ت. 454 هـ/1063 م) في رسالته « في فضل الأندلس وذكر رجالها » حيث قال عند تعرّضه لمؤلّفات الأندلسيّين في علم الطبّ: « وكتاب – [التصريف لمن عجز عن التأليف] –، لأبي القاسم خلف بن عباس الزهراوي، وقد أدركناه وشاهدناه، ولئن علمنا أنّه لم يؤلّف في الطبّ أجمع منه ولا أحسن للقول والعمل في الطبائع لنصدقن ». أمّا من المشارقة، فقد ذكره ابن أبي أصيبعة في « عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء » بقوله: « كان طبيبا فاضلا خبيرا بالأدوية المفردة والمركّبة، جيّد العلاج، وله تصانيف مشهورة في صناعة الطبّ، وأفضلها كتابه الكبير المعروف بالزهراوي. ولخلف بن عباس الزهراوي من الكتب، كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف، وهو أكبر تصانيفه، وأشهرها، وهو كتاب تامّ في معناه »، والأرجح أنّ الزهراوي توفّي عام 404 هـ/1013 م، ولم يعرف من تلاميذه إلاّ الوزير الطبيب أبو المطرّف عبد الرحمن بن وافد اللخمي (ت.467 هـ/1074 م)، وابن حزم (ت.454 هـ/1063م) إذ هو أوّل من ذكره وذكر كتابه التصريف، وكذلك تلميذه الحميدي (ت. 488 هـ/1095 م)، ولا يعرف من مؤلّفاته سوى « التصريف »، وإن كان ابن أبي أصيبعة وهم فاعتبر أنّ له كتابين، أحدهما كتاب الزهراوي، وكتاب التصريف، وتصانيف أخرى لم يذكرها. هل هذا معناه أنّها كانت موجودة واطّلع عليها وهي الآن في حكم الآثار المفقودة ؟

انظر حوله: ابن حزم: رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها، ضمن رسائل ابن حزم، نشر وتحقيق د. إحسان عباس، بيروت 1981، ج2، ص 185؛ الحميدي: جذوة المقتبس، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، القاهرة 1372 هـ/1952 م، ص 195؛ الضبي: بغية الملتمس، طبعة مدريد 1885 م، ص 271؛ ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء، ج 3، ص 85؛ ابن الأبار: التكملة، المستدرك على طبعة كوديرا، مدريد 1915، ص ص 297 – 298.

[40] التصريف لمن عجز عن التأليف: هو أوّل موسوعة طبيّة في علم الجراحة تظهر للوجود على يد الطبيب الجراح الزهراوي، وهو يحتوي على ثلاثين مقالة، والمقالة الثلاثين الأخيرة هي التي جعلها خاصّة بالحديث عن الجراحة والكيّ والجبر والجراحة التجميليّة، وقد عرف هذا الكتاب اهتماما واسعا في الأوساط العلميّة والطبيّة وخاصّة الأوربيّة، إذ ترجم إلى اللاتينيّة عام 1290، من طرف سيمون دوجينس (Simon de Gênes) بمساعدة أبراهام الطرطوسي (Abraham de Tartose)، وإن كانت الترجمة اقتصرت على المقالة الثامنة والعشرين، كما عرفت هذه الترجمة ترجمة أخرى تبعتها ولكن إلى اللغة القطلانيّة على يد ألنزو رودريغيز Alonzo rodriguez الطليطلي، وقد طبعت هذه الترجمة قالدوليد Valladolid عام 1516 م، كما أنّه سبقتها ترجمة أخرى قطلانيّة تمّت عام 1332 م على يد برنغير إمريخ (Brenguer Emerich) وعرفت فيما بعد باللاتينيّة تحت عنوان Dictio de cibariisinformonum، كما أنّ جيراردو الكريموني (Gerard de Crémone) ترجم المقالة الثلاثين الخاصّة بالجراحة إلى اللاتينيّة وعرفت هذه الترجمة بعنوان: (Liber chirurgical) أو (Albulcasal de chirurgia libritres) أي كتاب الزهراوي في الجراحة. كما أنّ جون شانينج (J. Chaning) نشر النصّ العربي مع ترجمة لاتينيّة لمقالة الجراحة بعنوان (L'albucasis de chirurgia) بأكسفورد عام 1178 م. كما أنّ أجيالا من الأطبّاء في أوروبا استفادت من كتاب التصريف، مثل: الجراح الفرنسي جي دي شولياك (Guy de Chauliac) (1290 – 1370 م) وجيروم برنشفيك Gérôme Brunschwig (1450 – 1512 م)، وكذلك الطبيب فيراري (Ferrari) الإيطالي المسمّى ماتيو دي جراديبوس (Matieu de Gradibus) الذي نقل من المقالة السابعة والعشرين، وكذلك الإيطالي أردونيس دي باسارو صاحب كتاب (liber de venenis)، نقل فيه كثيرا عن الزهراوي. وفي بداية القرن السابع عشر، نشر شيك (Sckeck) عام 1619 م كتابا تردّد فيه كثيرا ذكر اسم الزهراوي، كما أنّ كتاب التصريف عرف طريقه إلى أوروبا على أيدي العلماء الإيطاليّين من مدرسة ساليرنو على الخصوص، كما ترجم كذلك إلى اللغة البروفنصالية، وما تزال هذه الترجمة محفوظة في مكتبة جامعة مونبيليه بفرنسا، وقام في نهاية القرن التاسع عشر الطبيب لوسيان لكلرك (Lucien Leclerc) بإصدار دراسة وافية عن الزهراوي في كتابه تاريخ الطبّ العربي عام 1876 م، ولا سيما فيما يخصّ الترجمات اللاتينيّة والعبريّة لكتابه « التصريف »؛ كما قام هو – أي لوسيان – كذلك بترجمة المقالة الثلاثين الخاصّة بالجراحة. أمّا الباحثون العرب الذين كتبوا عن الزهراوي، منهم د. أحمد مختار منصور (أستاذ بكليّة الطبّ – جامعة الزقازيق) إذ قدّم بحثا عن المقالة الثلاثين ونشره في مجلّة معهد المخطوطات للجامعة العربيّة عام 1982 م. وكذلك الأستاذ العربي الخطابي ضمن كتابه الضخم (الطبّ والأطبّاء) إذ قام بتحقيق كتاب التصريف ونشر نصوص هامّة منه.

انظر:

- Leclerc, Lucien: La chirurgie d'abulcasis, Paris 1861.

والجراحة في الغرب الإسلامي والمسيحي، وقد ترجم إلى اللاتينيّة في وقت مبكّر وبقي مرجعا معتمدا في الصيدلة والجراحة إلى ما بعد عصر النهضة.

وقد برز في القرن السادس الهجري علم آخر، ألا وهو أحمد الغافقي[41]، صاحب كتاب « الأدوية المفردة »[42]، وقد امتاز بالدقّة والعمق وهو يمثّل مرحلة انتقال دراسة النبات من أجل فوائده

- Leclerc, Lucien: Histoire de la medecine arabe, Paris 1876, Tome 1, pp 438 - 455.

- Unver, A.S: Le célèbre chirurgien arabe Aboulkasim Ezzéhraui et son traité de chirurgie, Istambul, 1935.

- Bloom: L'osteologie d'Abul-Quasim et d'avicenne, Paris 1935.

- Schahien, A.S: Die geburtshil flish-gynâkologischen kapitel aus des chirurgie des Abulkasim, Med, Diss, Berlin 1937.

- Navaro Moreno, J: « Abulcasis, El hombre y su obra », B.R.A.C.B.A.U.L, 59, 1948, pp 21 - 48.

- Goyanes Capdevila, J: « El ingenio tecnico en la cirugia arabigo-espanola », un amplio esunner de la obra quirurgica de Abulcasis, Actas del XV congreso internacional de historia de la medecina (Madrid-Alcala, 22 - 29 de septiembre, 1956), Madrid 1957, Vol 1, pp 153 - 159.

- C.F.P. Huard et M.D. Gremk: Le premier manuscrit chirurgical turc, Paris 1960.

- C.F.M. Tabenelli: Albucasi, un chirurgo arabo dell'alto medioevo, Florence 1961.

- C.F.K. Hamarnech et G. Sonnedecken: « Apharmaceutical view of Abulcasis (Al-Zahrâwi) », in moorish spain, Madison, 1963.

- Eva Irblich: « La chirurgie de Zahrâwi », (deux volumes, en fac-similé), Graz 1979.

- Zozaya, Juan: « Instrumentos quirurgicos andalusies », boletin de la asociacion Espanôla de orientalistas, Madrid XX, 1984, pp 255 - 259.

- Juan Vernet: Ce que la culture doit aux Arabes d'Espagne, pp 55, 174, 177 - 178.

- أحمد مختار منصور: مجلّة معهد المخطوطات، المجلّد السادس والعشرون، الجزء الثاني (الكويت 1403 هـ/1982 م)، ص ص 475 - 539.

- محمد العربي الخطابي: الطبّ والأطبّاء في الأندلس الإسلاميّة، ج 1، ص 120، تعليق رقم 21، و ص ص 113 - 274 وص ص 333 - 340 و ص ص 350 - 379.

[41] أحمد الغافقي: هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن أحمد بن سيّد الغافقي، عالم نباتي وطبيب أندلسي، ولد في أواخر القرن الخامس الهجري (بداية القرن الثاني عشر الميلادي) حسب ترجيح شتاينشنيدر الذي يرى أنّه ولد حوالي سنة 494 هـ/1100 م، في بلدة غافق في ضواحي مدينة قرطبة بالأندلس، ولا يعرف عن حياته ومختلف مراحلها وعن دراسته وثقافته شيء يذكر، فقد غفلت عن ذكره والتعريف به المصادر الأندلسيّة والمغربيّة عموما لأسباب مجهولة، فلسنا نعرف عن ظروف حياته الاجتماعيّة وعن تعلّمه وشيوخه ما يكوّن لدينا صورة واضحة عنه، وجلّ ما يقال عنه أنّه اقتصر على علم الطبّ والصيدلة فقط، واعتناؤه بالأدوية المفردة كان أبين، ولذا قال عنه ابن أبي أصيبعة: « كان أعرف أهل زمانه بقوى الأدوية المفردة، ومنافعها وخواصّها وأعيانها ومعرفة أسمائها » (عيون الأنباء ج 3، ص 85)، ولقد كان الغافقي زاهدا في التقرّب من ذوي الجاه والسلطان، وهذا ما يصرّح به هو شخصيّا بقوله: « قد كنت شرعت في وضع كتاب في الأدوية المفردة، أتّخذه تذكرة لنفسي، ولم أحبّ إذاعته في أيدي الناس، ومنعني من ذلك ما رأيته من قلّة أهل البصر بما يوضع على صواب وعلى غير صواب (...) وإنّما يؤثرون الكتاب

الذي بين أيديهم ويقدّمونه ويفضّلونه على غيره، إمّا لأنّ واضعه كان ذا جاه ومنزلة عند السلطان، وإمّا لأنّه كان رجلا كثير المال، وبالجملة لأنّه رجل قد انتشر له ذكر وصيت بسبب من الأسباب الدنياويّة ».

كما أنّه لم يعرف عنه أنّه غادر الأندلس للتعشيب خارجها، رغم قول سارتون (Sarton) أنّه زار إفريقية، أو ترجيح لكلرك (Leclerc) تجاوز الغافقي حدود الأندلس والمغرب، وكلا القولين لا دليل لهما. كما أنّ سارتون قد خلط بين أبي جعفر أحمد وبين عالم أندلسي آخر وهو طبيب من قرطبة أيضا، يدعى محمد بن قسوم بن أسلم الغافقي، عاش في النصف الأوّل من القرن الخامس الهجري وألّف كتابا مشهورا عنوانه « المرشد في الكحل »، قام بتحقيقه ونشره مايرهوف في برشلونة عام 1933 م. وبهذا الوهم نسب سارتون هذا الكتاب إلى أحمد الغافقي خطأ. ورغم الدقّة والجدّة اللتين تميّز بهما أبو جعفر أحمد الغافقي في بحوثه إلاّ انّه لم يسلم من الخطإ والغلط، فقد انتبه إلى أخطائه عالم أندلسي عاش بعده بحوالي قرن من الزمان هو أبو العباس النباتي (ت. 637 هـ/1239 م)، إذ ألّف كتابا بعنوان: « التنبيه على أغلاط الغافقي ».

انظر حوله: ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء، ج 3، ص ص 84 – 85، الصفدي: الوافي بالوفيات، تحقيق إحسان عباس، فياسبادن ألمانيا، 1964 م، ج 7، ص 350 رقم 3341، ابن أبار: كتاب التكملة لكتاب الصلة، تحقيق كوديرا، مدريد 1887 – 1889 م (جزآن)، ج 1، ص ص 323 – 325 رقم 960، المراكشي: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، ج 1، تحقيق محمد بن شريفة، دار الثقافة بيروت (د. ت)، ص 389 و ص 513، و ج 6، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة بيروت

(د. ت)، ص ص 413 – 418 رقم 1113، ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق عبد الله عنان (جزآن)، ط 2، القاهرة 1973، ج 1، ص 212.

– Steins Chneider Mortis: Gafiki's verzeichniss ein facher heilmittel, in VAPA, 77 (1879), 1, pp 507 – 510; Sarton, George: Introduction to the history of science, Baltimore, U.S.A. (1927–1948),(3 volumes), vol 2, p 424; Leclerc, Lucien: Histoire de la médecine arabe, vol 2, pp 79 – 80; Dietrich (A) Article: « Al–Ghafiki » dans l'encyclopédie de l'Islam (N° 1, 1 ed): supplément, Leiden, Paris, 1982, pp 313 – 314; Meyerhof, Max: Etude de pharmacologie arabe tirées de manuscrits inédits, in: Bulletin de l'institut d'egypte; III, deux manuscrits illustrés du livres des simples d'Ahmed Al–Ghafiki, (vol 23, 1941, pp 13 – 29); Meyerhof: Esquisse d'histoire de la pharmacologie et botanique chez les musulmans d'Espagne; in Al–Andalus, 3 (1935), pp 1 – 41; Francisco (F) Sanchez y Maria Sop CaBello: Muhammad Assafra, el médico y su época, pp 38 – 39.

وكذلك: إبراهيم بن مراد: أبو جعفر أحمد الغافقي في كتاب الأدوية المفردة، دراسة في الكتاب وتحقيق لمقدّمته، مجلّة « الصيدلاني العربي »، دمشق، 2، 1982، ص ص 70 – 81.

(42) الأدوية المفردة : هو الكتاب الذي ألّفه الغافقي في فترة غير معروفة من حياته، وقد كان له غرضان من تأليفه، الأوّل: جمع أقاويل القدماء والمحدثين في الأدوية المفردة بالتفصيل، والثاني: شرح ما وقع في كتب الأطبّاء من أسماء الأدوية المجهولة، وهذا الكتاب توجد منه ثلاث مخطوطات، الأولى: في مكتبة أوسلر Osler بجامعة ماك جيل في مونريال بكندا Mac Gill university, Montreal، وتحمل رقم 7508، عدد أوراقها 284 مهملة الترقيم، عدد الأسطر في الصفحة الواحدة 23 سطرا، من غير ذكر اسم الناسخ، منتصف شهر شعبان 700 هجريّة، تقع في 11 بابا متضمّنة 475 مادّة وبها 367 رسما للنبات والحيوان والمعادن؛ والثانية: مخطوطة القاهرة كتبت سنة 990 هـ، وهي تكاد تطابق مخطوطة مونريال تطابقا كلّيّا، ما عدا في عدد الرسوم إذ يبلغ عددها في هذه النسخة 380 رسما؛ والمخطوطة الثالثة: توجد بالخزانة العامّة بالرباط رقم ق 155 تحتوي 200 ورقة، من غير ذكر اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ، مسطرتها 21 وعدد أبوابها سبعة 07، وعدد موادّها الجملي 310 مادّة خاصّة بالجزء الأوّل من الكتاب. كما أنّ روسي (E. Rossi) ذكر أنّه توجد نسخة كاملة لهذا المخطوط غير منشور بطرابلس الغرب ومن غير ذكر المكان ولا أوصافها في مجلّة (O. M) عام 1953.

وللأهميّة العلميّة التي يتميّز بها كتاب « الأدوية المفردة »، ورغم ضنّ صاحبه به على الناس وعدم رغبته في انتشاره بينهم؛ فقد ذاع شرقا وغربا، إذ كانت الترجمة الأولى إلى اللغة اللاتينيّة وقد قام بها عالم يدعى ابن يوحنّا سنة 657 هـ/1258 م في مدينة لاردة

المعروفة بـ(Magister G. Filius Johannis)، وكانت الترجمة الثانية إلى اللغة السريانيّة قام بها أبو الفرج بن العبري

(ت. 684 هـ/1286 م) ووضعها عام 682 هـ/1284 م، ولكن هذه الترجمة قد ضاعت، كما أنّ كتاب « الأدوية المفردة » اختصر مرتين باللغة العربيّة، وضع المختصر الأوّل أبو الفرج غريغوريوس بن العبري (ت. 684 هـ/1286 م)، وقد حقّق قسما من هذا المنتخب وترجمه إلى اللغة الإنكليزيّة المستشرق الألماني ماكس مايرهوف (1874 م – 1945 م) بمعاونة الطبيب المصري جورج صبحي (؟/؟)، ونشر التحقيق والترجمة مع شروح وتعاليق باللغة الإنكليزيّة في القاهرة بين سنتي 1932 و 1940 في أربعة أقسام، وقدّم الاختصار الثاني عالم مغمور لا يعرف عنه شيء يدعى أحمد بن علي بن إبراهيم بن أبي جمهوري في زمن غير محدّد (؟/؟). انظر حول هذا الكتاب:

– Steinshneider:Gafiki's Heilmittel(1)p508; (2)pp 150–171;(3)pp 355–370;(4)pp98–140.

العلاجيّة، إلى دراسته دراسة علميّة بحتة، تبحث في خصائصه وأنواعه وأماكن توزّعه الجغرافيّة، وكذلك دراسة لغويّة ولسانيّة لأسماء الأعشاب ونقلها من لغاتها الأصليّة إلى اللسان العربي.

وممّا يزيد الغافقي تألّقا، هو اختصاصه، إذ لم يؤلّف في غير الطبّ، وقد بقي له ثلاثة كتب هي: كتاب الأدوية المفردة، ورسالة في الحميات والأورام[43] ورسالة في دفع المضارّ الكلّيّة للأبدان الإنسانيّة[44].

وقد ظهر في النصف الأوّل من القرن السابع الهجري عالمان جليلان من علماء النبات والصيدلة، أوّلهما: أبو العباس أحمد بن محمد بن مفرج بن الروميّة الإشبيلي[45]، الذي اشتهر باسم أبي العباس النباتي، في كافة المراجع التي تحدّثت عنه لغلبة الاهتمام بالنبات عليه، وقيامه بعدّة معاينات لأشخاص النبات وقام برحلات من أجل ذلك، وسجّل معلوماته في كتاب « الرحلة »[46]. والثاني هو: أبو

– Meyerhof: « Esquisse, p 17; Meyerhof: Etudes, (3) p 14; Sarton: Introduction, (2) p 424; E. Rossi: Cf. oriente Moderno (OM), 23, 1953, pp 67 – 68.

– سامي خلف الحمارنة: فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهريّة « الطبّ والصيدلة » ط 1، دمشق 1969 م، ص 172، إبراهيم بن مراد: أبو جعفر أحمد الغافقي في كتاب الأدوية المفردة، دراسة في الكتاب، ص ص 70 – 81؛ Vernet (J): Ce que la culture doit, pp 269 – 270؛ Francisco/Maria: Muhammed Assafra, pp 38 – 39.

(43)(88) هذان الكتابان يوجدان مخطوطين في بودليانا بأكسفورد، رقم 632. انظر بخصوصهما:

– اسكاريوس توفيق: منتخب الغافقي، مجلّة المشرق، ع 22، 1924، ص ص 978 – 983.

– إبراهيم بن مراد: بحوث في تاريخ الطبّ والصيدلة عند العرب، ص 405.

(45) أبو العباس النباتي: (أحمد بن محمد بن مفرج بن الروميّة 561 هـ/1165 م – 637 هـ/1239 م)، هو عالم أندلسي، ولد في إشبيلية في عائلة طبيّة نباتيّة، إذ كان والده وجدّه عالمين في النبات، وكان جدّه مفرج مولى لأحد أطبّاء قرطبة، وقد تبنّى هذا الطبيب أبا العباس وعلّمه الطبّ والنبات، فكان طبيبا ونباتيّا وصيدلانيّا بارعا، وقد جمع بين علم الحديث وعلم النبات، وتفرّد فيهما عن غيره من علماء زمانه، وقد قال عنه ابن عبد الملك:« ولم يزل باحثا عن حقائقه – (أي النبات) – كاشفا عن غوامضه، حتّى وقف منه على ما لم يقف عليه غيره ممّن تقدّم في الملّة الإسلاميّة؛ فصار أوحد عصره في ذلك، فردا لا يجاريه أحد فيه بإجماع من أهل ذلك الشأن » (الذيل والتكملة، 1/512 – 513)، إلاّ أنّ أبا العباس كان فقيها أيضا، وكان سنّيّا ظاهريّا على مذهب ابن حزم، كما كان أديبا شاعرا. قد اشتهر برحلته الطويلة التي قام بها سنة 612 هـ/1215 م إلى المشرق مرورا ببلاد المغرب، خرج بنيّة الحجّ، وصل إلى الإسكندريّة عام 613هـ/1216م، وأقام بمصر والعراق والشام نحو سنتين، وكانت هذه الرحلة فرصة له للاطّلاع على الأعشاب والنباتات والبحث عنها، والالتقاء بالعلماء في المشرق والمغرب، وقد استبقاه بمصر الملك العادل سيف الدين (596 هـ/1199 م – 615 هـ/1218 م)، فرفض ذلك بقوله: « إنّما أتيت من بلدي لأحجّ إن شاء الله إليه وأرجع إلى أهلي »؛ فبقي مدّة بالقاهرة حيث جمع الترياق الكبير وركّبه، ثمّ توجّه إلى الحجاز للحجّ، ولمّا عاد مرّ بصقليّة والمغرب ثمّ الأندلس وأقام بإشبيلية، وحينها ألّف كتابه « الرحلة المشرقيّة ». وله من التآليف كذلك كتاب « تفسير أسماء الأدوية المفردة من كتاب ديسقوريدس »، وكتاب « شرح أدوية دياسقوريدس وجالينوس والتنبيه على أوهام مترجميها »، وكتاب « التنبيه على أغلاط الغافقي » و « مقالة في تركيب الأدوية ».

انظر حوله: ابن الأبار، التكملة، ج 1، ص ص 121 – 122؛ إبن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ج 3، ص 133؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج 8، ص 45، رقم 3451؛ إبن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج 1، ص ص 487 – 518؛ إبن الخطيب: الإحاطة، ج 1، ص ص 207 – 214؛ المقري: نفح الطيب، ج 2، ص ص 596 – 598؛ إبن العماد: شذرات الذهب، ج 5، ص 184؛ إبراهيم بن مراد: المعرب الصوتي عند العلماء المغاربة، ط 1، تونس 1978، ص 56؛ إبراهيم بن مراد: بحوث في تاريخ الطبّ والصيدلة عند العرب، ص ص 287 – 296.

(46) كتاب الرحلة: لم يذكر ابن أبي أصيبعة كتاب « الرحلة المشرقيّة » في « عيون الأنباء »، ولقد ذكره ابن الخطيب في الإحاطة بتسميته بـ« كتاب الرحلة النباتيّة »، وذكره المقري في نفح الطيب إذ قال: « وصف كتابا حسنا كثير الفائدة في الحشائش ورتّب فيه أسماءها على حروف المعجم »، وهذا الكتاب للأسف ضاع ولم يبْقَ منه إلاّ مائة وثلاث (103) موادّ في كتاب « الجامع » لابن البيطار. وقد قام الباحث والمستشرق الفرنسي لوسيان لكلرك (Leclerc Lucien) بدراسة آثار أبي العباس، إذ كان أوّل من تفطّن في أواخر القرن الماضي إلى سبق ابن الروميّة في دراسة النبات دراسة ميدانيّة محض، ولم يوظّف ذلك في الجانب

محمد عبد الله بن أحمد بن البيطار المالقي[47]، تلميذ بن الروميّة، وأستاذ بن أبي أصيبعة، جال في العديد من عواصم العالم الإسلامي وبلدان أوروبا، ثمّ استقر بمصر وأصبح رئيسا لصيادلة مصر، وخلّف

الصيدلي أو الطبّي، إذ كانت نتيجة أبحاثه أنّه: استطاع معرفة نباتات قديمة كانت معروفة بأسمائها فقط، أو كانت مثار جدل حول ماهيتها وخصائصها، إذ بلغ عدد هذه النباتات عنده خمسين نبتة (50)، وقد اعتمد العالم السويدي بطرس فرسكال Forskal Petrus من القرن 18 م على كشوف ابن الروميّة لاستكمال بحوثه حول نباتات مصر والجزيرة، واكتشف أصنافا جديدة لنباتات قديمة معروفة وبلغ عدد هذه الأصناف سبعة عشر (17) صنفا. بالإضافة إلى اكتشافه نباتات جديدة لم تعرف قبله وعددها عشرون (20) نباتا.

انظر حوله: ابن الخطيب: الإحاطة، ج 1، ص 212؛ المقري: نفح الطيب، ج 2، ص 596؛ ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ج 3، ص 193؛ ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج 1، ص 513؛ 247 – 246 L. Leclerc:Histoirede la medecine, V 2, pp؛ إبراهيم بن مراد: بحوث في تاريخ الطبّ والصيدلة عند العرب، ص ص 289 – 295.

[47]ابن البيطار: هو ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الملك بن بونة بن سعيد بن عصام بن محمد بن ثور العبدري – نسبة إلى ابن عبد الدار بن قصيّ – المالقي النباتي العشّاب، والمشهور بابن البيطار، من عائلة « ابن البيطار الأندلسيّة »، وأصل سلف هذه العائلة من وادي الحجارة، ثمّ نزلوا غرناطة ثمّ انتقلوا إلى مالقة، وبها ولد ابن البيطار ولكن لم يحدّد تاريخ ولادته بعد، وذهب بعض المحدثين المتأخّرين إلى أنّه ولد سنة 575 هـ/1179 م، والبعض الآخر ذهب إلى أنّه ولد عام 593 هـ/1197 م، ولكن كلا الاتّجاهين ليس لهما دليل أو حجّة قاطعة، إذ أنّ المترجمين القدماء له، أهملوا التأريخ لولادته، والمرجّح أنّ ولادته في الربع الأخير من القرن السادس الهجري، على أنّ الذي لا شكّ فيه، أنّه بدأ في تلقّي العلوم الأولى على يدي والده، ثمّ قضى مدّة من الزمن في إشبيلية، حيث كان يقوم بالتعشيب والبحث عن النباتات مع ثلاثة من شيوخه الذين أخذ عنهم علم النبات، وكان لهم أبرز الأثر عليه، إثنان أندلسيّان إشبيليّان وهما: أبو العباس بن الروميّة النباتي (ت. 637 هـ/1239 م) الذي لازمه أكثر من غيره وكان تأثيره فيه كبيرا؛ والثاني: هو ابن الحجّاج الإشبيلي، وهو عالم أندلسي مغمور، قد غفلت كتب التراجم الأندلسيّة عن ذكره، وقد خلط مايرهوف في مقدّمة ترجمته لكتاب ابن ميمون القرطبي « شرح أسماء العقار » بينه وبين أبي الحجّاج يوسف بن موراطير (ت. حوالي 617 هـ/1219 م)، وهذا الخلط عند مايرهوف راجع إلى أنّ هذا العالم يكنّى « أبا الحجّاج »، وهو من قرية تقع قرب بلنسية في شرقي الأندلس اسمها موراطير، أمّا أستاذ ابن البيطار، فاسمه « ابن الحجّاج »، وهو الاسم الذي ذكره به ابن البيطار نفسه في كتابه « الجامع »، ثمّ هو إشبيلي من جنوب الأندلس؛ وثالث شيوخه هو أبو محمد عبد الله بن صالح الكتامي الحريري الشجار، وقد سمّاه ابن البيطار في كتاب « الجامع » بـ« العشّاب »، وهو أيضا عالم أندلسي مغمور إذ لم نجد له بعد في مصادر التراجم الأندلسيّة والمغربيّة أيّة ترجمة تذكر، ومن خلال تسميته بـ« الكتامي »، توحي نسبته إلى أنّه من أصل بربري من قبيلة « كتامة ». وبعدما تمكّن ابن البيطار في الأندلس من علم النبات بفضل الرحلات التعشيبيّة التي قام بها في بعض المدن الأندلسيّة، والدراسة المعمّقة لكتب القدماء والمحدثين وخاصّة كتابي ديسقوريدس وجالينوس في الأدوية المفردة، غادر بلاد الأندلس بدون رجعة في رحلة علميّة طويلة حوالي سنة 617 هـ/1219 م، بعيد رجوع أستاذه أبي العباس النباتي من المشرق، وقد مرّ في رحلته ببلاد المغرب الأقصى، فالمغرب الأوسط، فإفريقية، ثمّ طرابلس الغرب وبرقة التي انطلق منها عبر البحر إلى آسيا الصغرى في أواخر سنة 620 هـ/1223 م، أو بداية 621 هـ/1224 م؛ فزار بلاد اليونان ووصل به المطاف إلى أقصى بلاد الروم (بيزنطة الشرقيّة)، ثمّ اتّجه إلى المشرق فزار بلاد فارس والعراق ثمّ بلاد الشام ومصر التي انتهى به المطاف عندها حيث استقرّ فيها، وانصرف إلى خدمة الملك الكامل محمد بن أبي بكر (ت. 635 هـ/1238 م)، ثمّ الملك الصالح نجم الدين (ت. 647 هـ/1249 م)، ويبدو أنّ ابن البيطار استقرّ في أخريات أيّامه بدمشق التي كان له فيها تلاميذ كثيرون، كان أهمّهم طبيبان، أوّلهما : ابن أبي أصيبعة (ت.668 هـ/1270 م) صاحب عيون الأنباء، الذي التقى بابن البيطار لأوّل مرّة في دمشق سنة 633 هـ/1235م، وتلميذه الثاني هو عز الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السويدي الدمشقي (ت. 690 هـ/1291 م)، والمرجّح أنّه التقى بابن البيطار في دمشق بداية من سنة 633 هـ، وألّف كتاب « التذكرة الهادية والذخيرة الكافية » وكتاب « السمات في أسماء النبات » بالاعتماد على كتابي أستاذه ابن البيطار « الجامع » و« المغني »، ولقد ترك ابن البيطار عدّة مؤلّفات منها : (1) – « الإبانة والإعلام بما في المنهاج من الخلل والأوهام »، ألّفه في حدود سنة 633 هـ، وضعه في نقد كتاب « منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان » لابن جزلة البغدادي (ت.498 هـ/1100 م)، (2) – « كتاب تفسير كتاب دياسقوريدس »، (3) – « رسالة في تداوي السموم »، (4) – « الأفعال الغريبة والخواصّ العجيبة »، (5) – « ميزان الطبّ »، (6) – « المغني في الأدوية المفردة »، (7) – « كتاب الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ».

انظر حوله : ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ج 3، ص ص 220 - 222؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج 17، ص ص 51 - 52، رقم 47؛ السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة 1967 – 1968 (جزآن)، ج 1، ص 542؛ المقري: نفح الطيب، ج 2، ص ص 691 – 692؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج 5، ص 284؛ الضبي: بغية الملتمس، ص 225، رقم 767؛ ابن الأبار: التكملة، ج 1، ص 77 وص 124 وص 262، رقم 234، وج 2، ص ص 613 – 614، رقم 1712، وص ص 648 – 649، رقم 1806؛ ابن عبد الملك: الذيل والتكملة، ج 1، ص ص 262 – 263، رقم 341، وص ص 371 – 372، رقم 517، وج 5، ص ص 15 – 16، رقم 21، وابن الخطيب: الإحاطة، ج4، ص ص 100 – 101.

– إبراهيم بن مراد: ابن البيطار، مجلّة المورد، مجلّد 6، ع 1977/4 بغداد، ص ص 129 – 134.

– إبراهيم بن مراد: منهج ابن البيطار في معالجة المصطلح النباتي والصيدلي، حوليّات الجامعة التونسيّة 170، 1973، ص ص 95 – 116.

– إبراهيم بن مراد: المعرب الصوتي عند العلماء المغاربة، ط 1، تونس 1978، ص ص 55 – 58.

– إبراهيم بن مراد: المصادر التونسيّة في كتاب الجامع لابن البيطار، مجلّة الحياة الثقافيّة، 1980/08، تونس، ص ص 117 – 158؛ 1980/10، ص ص 107 – 144.

– إبراهيم بن مراد: المصطلح الأعجمي، ج 1، ص ص 169 – 226.

– سامي الحمارنة: الصناعة الطبيّة في العصر الإسلامي الذهبي، مجلّة عالم الفكر، مجلّد 10، ع 2، 1979، الكويت، ص 321، هامش رقم 40.

آثارا أهمّها « الجامع لمفردات الأدوية والأغذية »[48]، الذي تضمّن معلومات قيّمة عن النبات وأجناسه، وكذلك دراسة لغويّة بحتة في الجانب اللساني (الفيلولوجي)، لأسماء النبات باعتماده على مراجع كثيرة أندلسيّة وغير أندلسيّة.

---

[48] الجامع: هو « الجامع لمفردات الأدوية والأغذية »، وهو أهمّ كتب ابن البيطار إطلاقا، وأجلّ ما ألّف العرب في موضوع الأدوية المفردة رغم التهمة الباطلة التي حاول المستشرق الألماني ماكس مايرهوف Max Meyerhof إلصاقها بابن البيطار، إذ اعتبره منتحلا لكتاب « الأدوية المفردة » لصاحبه الغافقي من غير حجّة ولا برهان.

ألّف ابن البيطار كتابه للسلطان الأيوبي الملك الصالح نجم الدين أي بين سنة 637 هـ/1240 م، وسنة 646 هـ/1248 م وهي سنة وفاة ابن البيطار. والمرجّح هو أنّه ألّف كتابه في أخريات حياته، وبالتحديد بعد سنة 640 هـ/1242 م، وذلك أنّه من المصادر التي اعتمد عليها في كتابه « الجامع » هو كتاب « أزهار الأفكار في جواهر الأحجار » لأبي العباس ابن يوسف التيفاشي

(ت. 651 هـ/1253 م)، وقد ذكر التيفاشي نفسه في كتابه هذا أنّه كان بصدد تأليفه عام 640 هـ.

وقد حظي الكتاب منذ فترة تأليفه بمنزلة كبيرة بين الأطبّاء والصيادلة العرب والمسلمين، مثل الطبيب اليمني يوسف بن رسول الغسّاني (ت.694 هـ/1294 م) الذي اعتمده في كتابه « المعتمد في الأدوية المفردة »، (تحقيق مصطفى السقا، ط3، بيروت 1975 م، 589 ص)، واعتمده كذلك نصر الدين يوسف بن إسماعيل الخويني الكتبي (ت. 756 هـ/1353 م) في كتابه « ما لا يسع الطبيب جهله » و « مجمع المنافع البدنيّة »، كما أنّ للكتاب مختصرا وضعه عالم يدعى عبد الرحمن بن داود الحنبلي القادري الدمشقي، منه نسخة بجستربيتي (بإيرلندا) رقمها 4013 (القرن 10 هـ، 100 قطعة). وله منتخب وضعه عالم يدعى علي بن محمد بن عبد الله الأبزي، منه نسخة بمكتبة حكيم أوغلي (بتركيا) رقمها 584 (784 هـ، 203 قطعة)، وتوجد نسخة من كتاب « الجامع » في جامعة هارفرد بمكتبة هوفتن رقمها 4276 (القرن 8 هـ/14 م، 542 قطعة).

كما أنّ الكتاب عرف عدّة ترجمات مختلفة، فالباحث هيرفي أرنانت (Hervé Harant) والباحثة إيفون فيدال Yvonne Vidal)، قالا إنّ الكتاب قد ترجم إلى اللاتينيّة بين 1240 و 1249 م، ومن غير أن يذكرا من المترجم ولا أين ترجم، ويبدو أنّ أوّل اهتمام به كان في أواخر القرن الخامس عشر أو بداية القرن السادس عشر الميلاديّين، ولعلّ أوّل من اهتمّ به هو العالم أندريا ألباغوس (Andrea Alpagus) (ت. 1522 م) الذي ترجم منه إلى اللاتينيّة مادّة ليمون. ولكن الاهتمام الفعلي بكتاب « الجامع » بدأ في القرن السابع عشر، فترجمه المستشرق الفرنسي أنطوان علاّن (1646 – 1715) (Antoine Galland) إلى اللاتينيّة ترجمة مختصرة، ثمّ ترجمه إلى اللاتينيّة أيضا في القرن الماضي ترجمة جزئيّة المستشرق الألماني دييتز Dietz ونشرت هذه الترجمة في ألمانيا سنة 1833 م، ثمّ نقله إلى الفرنسيّة نقلا جيّدا ممتازا العالم الطبيب الفرنسي لسيان لكلرك (1816 – 1893 م) (Lucien Leclerc)، ونشرت هذه الترجمة في باريس في ثلاثة مجلّدات ما بين 1877 و 1883 م.

ومن مظاهر أهميّة الكتاب وإسهام ابن البيطار في تقدّم علم النبات الصيدلي هو: إضافته نباتات جديدة من محض اكتشافه إلى النباتات التي عرفها العرب من قبل، وإضافات ابن البيطار في كتاب الجامع صنفان: أوّلهما: تمثّله النباتات الجديدة جدة كلّيّة باعتبارها نباتات مستقلّة ولم يسبق إلى معرفتها وعددها عشرة (10)، وثانيهما: عدد الأصناف النباتيّة الجديدة التي أضافها وتبلغ سبعة عشر (17) صنفا.

انظر بخصوص كتاب (الجامع):

- Leclerc, Lucien: « Etudes historiques et philologiques sur Ebn-Beitar », journal Asiatique, N° de juin 1862, (pp 433 - 461), pp 435 - 437.
- Leclerc, Lucien: Histoire de la medecine arabe, Vol 2, pp 225 - 235.
- Max Meyerhof: Esquisse, pp 31 - 33.
- إبراهيم بن مراد: المعرب الصوتي عند العلماء المغاربة، ص ص 75 – 109؛ 116 – 140؛ 147 – 152.
- إبراهيم بن مراد: المصادر التونسيّة في كتاب الجامع لابن البيطار، القسم الأوّل (01) ص ص 120 – 121.
- سامي حمارنة: الصناعة الطبيّة في العصر الإسلامي الذهبي، مجلّة عالم الفكر، (نفس البيانات السابقة)، ص 321، تعليق رقم 40.
- إبراهيم بن مراد: المصطلح الأعجمي، ج 1، ص ص 169 – 226. J. Vernet: Ce qui la culture ..., pp 66, 167, 242, 269.
- إبراهيم بن مراد:دراسات في المعجم العربي، ص ص 274 – 276.
- ابن البيطار: دراسات في كتاب دياسقوريدس في الأدوية المفردة، (نفس البيانات السابقة) مقدّمة المحقّق إبراهيم بن مراد ص ص 31 – 37.

ويوجد معلم آخر ميّز القرن السادس الهجري، وهو ظهور الطبيب الفيلسوف ابن رشد[49]، إذ امتاز بتنوّع معارفه العلميّة واتّساع أفقه الفكري، فأكسبه ذلك القدرة على فحص آراء سابقيه ونقد ما

– إبراهيم بن مراد:بحوث في تاريخ الطبّ والصيدلة عند العرب، ص ص 31 – 48.

[49]ابن رشد: هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد، ولد في قرطبة بلد أسلافه عام 520 هـ/1126 م، وتلقى العلم على أبيه محمد وأخذ عن أبي القاسم بن بشكوال، وأبي مروان بن مسرة، وأبي بكر بن سمعون، وأبي جعفر هارون الترجالي، وأبي جعفر بن عبد العزيز وأبي عبد الله المازري، هذين الأخيرين أجازاه. أما علم الطب فقد أخذه عن أبي مروان بن جريول البلنسي وأبي جعفر أحمد بن هارون الترجالي، وابن الطفيل الطبيب الفيلسوف وكذلك أبي مروان عبد الملك بن زهر الطبيب.

تنقل ابن رشد بين إشبيلية ومراكش عاصمة الدولة الموحدية آنذاك، زارها أول مرة وهو ما يزال شابا عام 548 هـ/1153 م، وذلك في عهد الخليفة عبد المؤمن بن علي (524 – 558 هـ) ولمّا عاد إليها ثانية تولّى الفيلسوف الطبيب أبو بكر بن الطفيل تقديمه إلى الخليفة أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن (558 – 580 هـ/1163 – 1184 م)، وكان ذلك حوالي عام 565 هـ/1169 م.

وكانت هذه المقابلة بمثابة مجلس علمي راجت فيه محادثات في بعض المسائل الفلسفيّة في هذه السنة. أي 565 هـ، أسندت إلى ابن رشد ولاية قضاء إشبيلية، ثمّ ولي قضاء قرطبة مسقط رأسه عام 567 هـ/1171 م. وبقي متنقّلا بين قرطبة وإشبلية إلى أن صدر إليه الأمر سنة 578 هـ/1182 م بالذهاب إلى مراكش عاصمة الدولة ليخلف ابن طفيل في رئاسة أطبّاء البلاط حيث حظي برعاية الخليفة أبي يعقوب يوسف وتأثّلت له وجاهة عظيمة صرفها في مصالح الأندلس، وبعد ذلك عاد إلى قرطبة حيث عُيّن قاضي الجماعة بها، وفي ولاية أبي يوسف يعقوب المنصور (580 – 595 هـ/1184 – 1198 م)، نعم ابن رشد ردحا من الزمن بالاطمئنان والرعاية وبقي يتابع نشاطه العلمي، إلى أن حلّ عام (592 هـ/1195 م) إذ أصابته نكبة عظيمة وامتحان عسير بتهمة المروق عن الدين، فنفي إلى وأمر بإتلاف كتبه الفلسفيّة ما عدا الطبّ والحساب والمواقيت. ويلاحظ دنكان مكدونالد (Lucena)بلدة أليسانة

) أنّ أوامر الخليفة صدرت إرضاء لمسلمي الأندلس الذين كانوا أكثر تمسّكا بالسنّة من البربر. والواقع أنّ الخليفة كان منشغلا في ذلك الوقت D. Macdonald(
بتحضير بعض الغزوات ضدّ النصارى، ومرّت ثلاث سنوات على نكبة الفيلسوف، وما إن رجع الخليفة، وتوسّط لديه بعض وجهاء القوم ليعدل عن قراره وبأنّ ابن رشد رجل سليم العقيدة، ولمّا أدرك الخليفة خطأه، ألغى أوامره وقرّب إليه ابن رشد ثانية لاستئناف نشاطه العلمي بحضيرة مراكش، غير أنّه لم يعِشْ طويلا، فقد أدركته المنيّة في التاسع من صفر عام
595 هـ/1198 م، فدفن خارج باب تغروت بمراكش ثمّ نقل جثمانه إلى قرطبة حيث دفن في مقبرة سلفه.

وأهمّ ما تركه ابن رشد من المؤلّفات في مجال الطبّ والعلم الطبيعي هو: (1) – تلخيص كتاب النفس، نصفه مفقود في العربيّة وموجود في الترجمة اللاتينيّة، نشره المعهد الإسباني العربي للثقافة بتحقيق سالبادور غومث فوغاليس بمدريد عام 1985 م،
(2) – تلخيص كتاب الأسطقسات لجالينوس، نشره المعهد الإسباني العربي للثقافة بتحقيق السيّدة ك. دي بينيتو (مدريد 1984)، (3) – تلخيص المزاج الطبيعي لجالينوس، (4) – شرح أرجوزة ابن سينا في الطبّ، (5) – مقالة في المزاج المعتدل، نشرها جمال الدين العلوي ضمن « مقالات في المنطق والعلم الطبيعي » بالدار البيضاء، المغرب 1983 م، (ص ص 244 – 257). ومجمل هذه التآليف سبعة عشر (17) مؤلّفا وهي في معظمها مقالات أو رسائل قصيرة أو أجوبة على أسئلة تلقّاها المؤلّف.

انظر حوله:

– ابن الأبار: التكملة، طبعة القاهرة، مصر 1375 هـ/1956 م، ج 2، ص ص 553 – 555.

– المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق أحمد سعيد العريان، مصر (د. ت)، ص ص 242 – 243 و 305 – 307.

– ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ج 3، ص ص 122 – 127.

– دائرة المعارف الإسلامية: ج 1، (نفس البيانات السابقة)، ص ص 166 – 174.

يستحق النقد منها وفق منهج علمي ألزم به نفسه في مؤلّفاته وتلخيصاته العديدة، ومن هنا ذهب بعض الباحثين الغربيّين إلى أن كتاب « الكلّيّات »[50]– أبرز مؤلّفات ابن رشد في ميدان الطب – هو تأليف

– العربي الخطابي: الطبّ والأطبّاء، ج 1، ص ص 321 – 327.

[50] الكلّيّات: يعتبر كتاب « الكلّيّات » أهمّ مؤلّفات ابن رشد في الطبّ، وقد وضع هذا المؤلّف تلبية لطلب الأمير أبي الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن الموحّدي (ت. 610 هـ/1206 م). وفرغ من كتابته بمراكش في السادس عشر من رمضان عام 575 هـ، وهو قد كتبه ليقابل به كتاب التيسير لصاحبه أبي مروان عبد الملك ابن زهر، إذ قال ابن رشد:

« فإنّ هذه الصناعة –[أي الطبّ]– أحقّ صناعة ينزل فيها إلى الأمور الجزئيّة ما أمكن إلاّ أنّنا نرجئ هذا إلى وقت يكون فيه أشدّ فراغا (...) فمن وقع له هذا الكتاب دون هذا الجزء وأحبّ أن ينظر بعد ذلك في الكنانيش فأوفق الكنانيش له الكتاب الملقّب بالتيسير الذي ألّفه في زماننا هذا أبو مروان بن زهر، وهذا الكتاب سألته أنا إيّاه وانتسخته فكان ذلك سبيلا إلى خروجه ».

فهذه الرواية إذن تفنّد ما قاله البعض من أنّه هو الذي طلب من الطبيب ابن زهر أن يؤلّف كتابه التيسير ليكون تفصيلا لكتاب الكلّيّات، بالإضافة إلى أنّ ابن رشد فرغ من كتابته في شهر رمضان عام 575 هـ، أي بعد وفاة الطبيب أبي مروان ابن زهر بحوالي (18) ثمانية عشر عاما إذ كان تاريخ موته سنة 557 هـ، وهذا يعني كذلك أنّ ابن زهر ألّف كتابه قبل ابن رشد وبأمر من الخليفة الموحّدي عبد المؤمن بن علي، وإذا كنّا نعلم أنّ أقدم نسخة لكتاب التيسير والموجودة في دار الكتب الوطنيّة بباريس رقم 2960، قد انتهى من نسخها في منتصف شهر صفر سنة إحدى وستّين وخمسمائة (561 هـ) أي بعد وفاة ابن زهر بأربع سنين، فيكون ما صرّح

به ابن رشد من أنّه هو الذي انتسخه فكان سببا في انتشاره بين الناس صحيحا. وقد ترجم كتاب الكلّيّات من طرف رجل يدعى بوناكوسا (Bonacosa) (1255 م) إلى اللاتينيّة بعنوان (Colliget) وطبعت هذه الترجمة في البندقيّة عام 1482، وتتجلّى أهميّة هذا الكتاب فيما يلي:

1. اعتماده على مصادر مشرقيّة توزّعت كما يلي: 80 % من المادّة العلميّة اعتمدها من كتاب المنصوري للرازي الطبيب، و 15 % من كتاب الملكي لابن العباس المجوسي، و 5 % مادّة علميّة أصيلة من نتائج ابن رشد نفسه وصاحب هذا القول هو رودريغيز موليرو (Rodriguez Molero) وهذا في قسم التشريح من كتاب الكلّيّات.

2. ظهور عدّ بحوث اهتمّت بدراسة هذا الكتاب أهمّها دراسة خوان فيرنيت (Juan Vernet) بعنوان « الطبيب ابن رشد » Averroes medico، الصادرة. بمجلّة العلوم بمدريد عام 1950، وكذلك دراسة (R. Molero) الآنف الذكر بعنوان « رائد الطبّ العربي الإنساني، ابن رشد » أو بالإسبانيّة « Un maestro de la medicina arabigo espanola: Averroes » الصادرة عام 1962 م، وكذلك قام المستشرق السويسري ج. كريستوف بيرجيل J. Christoph Burgel عام 1967 م بنشر جملة من مآخذ ابن رشد على آراء جالينوس بخصوص تشريح الجهاز التنفّسي ووظائفه.

3. أمّا ثالث مظهر لآهميّة هذا الكتاب، فهو النتائج التي توصّل إليها ابن رشد في مجال التشريح كان يعتبر رائدا فيها ويمكن أن نجملها فيما يلي:

- حدّد ابن رشد عدد أغشية الصمّام الموجود في القسم الأيمن من القلب بثلاثة أغشية، وهو الصمّام الذي يسمّيه الأطبّاء اليوم (Tricuspide).
- أشار إلى الصمّامات الكائنة في الفوهة التي تنفتح على الشريان الرئوي، وبيّن وظيفتها.
- حدّد ابن رشد عدد التجاويف في القلب: البطين الأيمن والأذين الأيمن، البطين الأيسر والأذين الأيسر.
- حدّد ابن رشد موضع القلب بصفة محدّدة جدّا، بدأ بأن قال بأنّ رأسه يميل إلى اليسار قليلا.
- ذكر الشعب الشعريّة للشرايين وهو بهذا يعتبر ثاني طبيب أندلسي وعربي يشير إليهما بعد أبي مروان ابن زهر كما سيرد في أوانه.
- أبطل نظريّة جالينوس القائلة بتولّد الدم من الكبد.
- إكتشف أنّ الشرايين هي المغذية للجسم بالدم النقي، أمّا ما يجري في الأوراد من الدم فهو الدم « غير الناضج » وهو بهذا وضع الأسس لاكتشاف الدورة الجهازيّة الكبرى.

انظر حوله:

– J. Vernet: Averroes medico, C. F. las ciencias, 15, 1950, pp 193 – 199.

– F. Rodriguez Molero: « Un maestro de la medicina arabigo espanola: Averroes », MEAH, 11, 1962, pp 53 – 73.

– J.Cristoph bürgel: « Averroes contra galenum », in nachrichten der akademie der wissenschaften, N° 9, Gottingen, 1967.

تتجلّى فيه خصائص عصر النهضة، إذ تخلّى فيه عن تقاليد الماضي وسار على نهج جديد، إذ بيّن فيه خطأ جالينوس في بعض نظريّاته في علم التشريح ووظائف الأعضاء وتوصّل إلى نتائج جديدة خالف فيها حتى الزهراوي واضع أسس علم الجراحة والتشريح، وقد كان لابن رشد تأثير شديد في تقدّم علم الطبّ والفلسفة على حد سواء وخاصة في أوروبا الغربيّة.

ثمّ لا نكاد نجد عملا علميّا متميّزا في مجال الطبّ ببلاد الأندلس من عهد ابن رشد إلى غاية المنتصف الثاني من القرن الثامن الهجري، زمن ظهور أبي عبد الله محمد بن علي بن فرج القربلياني الملقّب بالشفرة[51] صاحب « كتاب الاستقصاء والإبرام في علاج الجراحات والأورام »[52]، وأهميّة هذا

- E. Torre; Averroes y la ciencia médica: « la doctrina anatomofuncional del 'Colliget' », Madrid, 1974.

- M. Bouyges: « Note sur les philosophes arabes connus des latins », V, Inventaire des textes arabes d' Averroes dans, MFOB, VII/1, 1922.

- Alfred El Bustani: Edition photographique du texte arabe [Colliget] du manuscrit du socromonte publiée à larache, 1939.

- J. Cola Alberich: Influencia de Averroes en los ciencias naturales mediovales », BRSEHN, 1948, pp 289 - 297.

- H. Gوtje: « Probleme der Colliget forschung », ZMDG, 130, 1980, pp 278 - 303.

- VazquezdeBenito,concepcion:« CommentarioAverrois ingalernum »,Madrid,C.S.I.CI.H.A.C. 1984 XII, p 341.

- Vazquez de Benito, C: La medicina de Averroes: « comentarios a galeno », Zamora, colegio universitario, 1987, 299 pp.

- Forneas Besteiro Jose M; Alvarez de Morales, Camilo (eds): Ibn Ruڗd, Kitمb Al-Kulliyat Fil-Tibb, Madrid, Granada, ed. C.S.I.C, 1987, 518 + 274 pp.

- F. Franco Sanchez: Evolucion de la medicina en Al-Andalus, p 13.

- محمد العربي الخطابي: الطبّ والأطبّاء، ج 1، ص ص 341 - 346.

(51) القربلياني: هو أبو عبد الله محمد بن علي بن فرج القربلياني الملقّب بالشفرة، أصله من « قربليان »، بلدة في جهة أليكنت Alicante، التي كانت تحت حكم النصارى في عهد « القربلياني »، ولذا يعتبر من المدجنين المسلمين الذين كانوا يقطنون البلاد الواقعة تحت الحكم المسيحي الإسباني، ولقد وردت ترجمة لمحمد

المؤلّف أنّ صاحبه اقتصر فيه على بيان كيفيّة معالجة الأورام والجراحات التي تصيب الجسد أثناء الحروب، بالإضافة إلى علاج الكسر والخلع والرض، وهو بذلك يتميّز عن الزهراوي الذي عني بالجراحة

الشفرة في كتاب الإحاطة لابن الخطيب إذ يقول عنه: « كان رجلا ساذجا، مشتغلا بعلم الطبّ عاكفا عليه عمره، محققا لكثير من أعيان النبات، كلفا به متعيّشا من عشبه أوّل أمره، وارتاد المنابت، وسرح بالجبال، ثم تصدر للعلاج، ورأس به، وحفظ الكثير من أقوال أهله، ونسخ جملة من كنانيشه على ركاكة خطّه، وعالج السلطان نصر بوادي آش وقد طرق بها مرض وافد (...) ثمّ رحل إلى العدوة وأقام بمرّاكش سنين عدّة، ثمّ كرّ إلى غرناطة عام أحد وستين وسبعمائة، وبها هلك على إثر وصوله » (الإحاطة، ج3، ص ص 179 – 180).

هذه صورة موجزة عن حياة محمد الشفرة، أمّا شيوخه فيذكرهم دائما ابن الخطيب في ترجمته له، أنّهم: والده، وفوج من محسني صناعة عمل اليد من الروم، ولكن دون ذكر هؤلاء الشيوخ من الروم؛ ولكن القربلياني يذكر في كتابه « الاستقصاء والإبرام »
شيخا نصرانيّا إسمه « المشترو برنارد » أو كما ورد في النسخ الخطيّة « الميشو برنناد أو يزناد » وكذلك « عبد الله بن سراج »
) عام 1935 م، في نسبة البلدة التي ينتسب Hespéris) في بحثه الذي نشره في مجلّة هيسبيرس H.P.G. Renaud(ت. 730 هـ/1330 م)، وقد وهم رونو (
)، ومن هنا فنسبة ابن الفرج El–Ebro) » وهي بلدة في ناحية نافارّا جنوب نهر الإبرو (Corellaإليها هذا الطبيب الأندلسي، إذ قال « بأنّه ينتسب إلى قُريلة (
) واضع فهرس المخطوطات العربيّة في الأسكوريال، قد أساء قراءة نسبة Casiriيجب أن تكون القربلياني (بالياء بعد الراء واللام) » ويرى رونو كذلك أن الغزيري (
ابن الفرج عند نقلها من مخطوطة كتاب « الإحاطة المحفوظة بمكتبة الأسكوريال » فكتب « القربلياني » بالباء بعد الراء، ولكن وجه الصواب هو نسبة
)، وكانت هذه الناحية تعد من بلاد الدجن في عهد ابن (Elche قريبا من إلش Alicante الواقعة في نواحي أليكنت Crevillente« القربلياني » إلى بلدة قربليان
فرج، ولو كانت النسبة إلى قريلة لقيل القريلي وليس القربلياني رحل إلى العُدوة وأقام بمرّاكش سنين عدّة، فإن القربلياني ذكر في كتابه « الإستقصاء » أنه أقام بسبتة وفاس ومراكش يزاول مهنته في علاج المرضى والمصابين بالسهام أو بالكسور في العظام
أو بأصناف من الأورام، وتوفّي كما ذكر ابن الخطيب في السابع عشر لربيع الأوّل عام أحد وستّين وسبعمائة 761 هـ. الموافق لـ 06 فبراير 1360 م، وليس كما ذكر العربي الخطابي أنّه موافق لـ 1332 م.

انظر حوله: – ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج 3، ص ص 179 – 180.

– Leclerc, Lucien: Histoire de la medecine arabe, Vol 1, p 276 et Vol 2, p 250.

– H.P.J. Renaud: « Un chirurgien musulman du royaume de Grenade: Muhammad As–Safra », hesperis, Rabat, 1935, T.XX, 1, pp 1 – 20.

– محمد العربي الخطابي: الطبّ والأطبّاء، ج 1، ص ص 27 – 29.
– Francisco Franco Sanchez / Maria sol Cabello: Muhammad As–Safra, el médico y su época, pp 96 – 116.

[52] الاستقصاء: عنوان الكتاب الكامل هو: « الاستقصاء والإبرام في علاج الجراحات والأورام »، وهو: ثمرة تجربة المؤلّف وممارسته للجراحة الصغرى وجبر الكسور، وهو مقسّم إلى ثلاث مقالات:

المقالة الأولى: في الأورام؛ والمقالة الثانية: في الجراحات والجبر؛ والمقالة الثالثة: في الأدوية المفردة والمركّبة التي تصلح للأورام والجروح والحروق والجبر. وقد جعله كتابه هذا لابنه معتمدا على نهج تعليمي وعملي بأسلوب خطابي شيّق معلّما إيّاه قواعد الصناعة ناصحا إيّاه بالاعتماد على التجربة والمعاناة، وألاّ يعوّل على الكتب فقط، وذلك بقوله: « أمّا بعد، فإنّي لمّا رأيت صناعة الجراحات من أغمض أصناف الطبّ وأكثرها جريا على المركّب الصعب، والناظرين فيها من لم يعرف قوانينها الغامضة إلى الاستقصاء ولا عنده علم بالتشريح ومنافع الأعضاء، بل اقتصر على الكنانيش المملّة، وأقدم على الأمر بغير البراهين والأدلّة، استخرت الله تعالى في تأليف كتاب يحصر علاجها ويضبط عمومها واندراجها ليكوّن لمن طالعه ونفقه فيه من أهل هذه الطريقة الطالبين عليها قانونا يقتدى باحتذائه وسراجا يستضاء بضيائه »، ولقد قام الأستاذ محمد العربي الخطابي بنشر هذا الكتاب ضمن مجموعه المعنون بـ« الطبّ والأطبّاء في بلاد الأندلس الإسلاميّة »، ج 2، ص ص 35 – 150.

العامّة والذي منذ ظهور كتابه التصريف لم تظهر محاولة جادّة في مجال الجراحة إلى غاية المنتصف الأخير للقرن الثامن الهجري، أي قرابة أربعة قرون من الزمان.

هذه نظرة شاملة بيّنا من خلالها عوامل نشأة علم الطبّ وتطوّره في الأندلس، وتعرّفنا على أحوال بعض الأطبّاء والصيادلة الذين امتهنوا هذا العلم وتمرّسوا فيه بالصناعة، وألّفوا في مختلف فنونه، وفي الوقت ذاته عملنا على بيان تطوّر الطبّ في الأندلس ضمن الإطار التاريخي لسيرورة الحركة العلميّة آنذاك في العالم الإسلامي عموما وفي بلاد الأندلس خصوصا، لمعرفة مدى إسهام الأندلسيّين في تقدّم المعارف الإنسانيّة، والآن لا بدّ من الإبانة على الخصائص المميّزة للطبّ الأندلسي من غيره، سواء على مستوى المنهج أو الموضوع.

3. الطبّ في الأندلس ، الموضوع والمنهج :

1/ المحدد المعرفي:

إذا ما أريد الكلام عن « الموضوع »، فبالضرورة يؤدّي إلى الحديث عن « المنهج ». وإذا كانت الضرورة المعرفيّة والعمليّة هي التي قادت إلى العلم؛ فإنّ العلم ما كان يمكن الوصول إليه في واقع الحال بدون المنهج العلمي، وهذا التلازم بين المنهج والعلم قد دفع بالبعض إلى حدّ الفصل بين موضوع العلم ومنهج العلم على أساس أنّ وحدة العلم « تستند إلى المنهج وليس إلى الموضوع ». فالعلم كموضوع والعلم كمنهج إن هما إلاّ أمران مترابطان، كلّ تقدّم في أحدهما يستدعي تقدّم الآخر. إنّهما يعكسان مقولة « السبب – النتيجة » عكسا خلاّقا وجدليّا، بحيث يتبادل الطرفان المواقع باستمرار[53].

من جهة ثانية، فإنّ المعرفة عموما، والمعرفة العلميّة خصوصا، إنّما ترتبط ارتباطا عضويّا بـ« الحاجة » في مختلف أشكالها وصورها ومستوياتها، هذه الحاجة المرتبطة من جهتها بضرورات « البقاء » و« تحسين البقاء »، ومن ثمّة فإنّ الترابط الوظيفي بين الحاجة والمعرفة والمنهج يأخذ الشكل التالي:

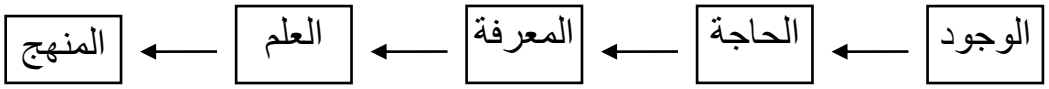

[53] لمن أراد مزيدا من الاطّلاع على هذا الموضوع، فليرجع إلى: قباري إسماعيل: الاتّجاهات المعاصرة في مناهج علم الاجتماع، دار المعارف الجامعيّة، بلا تاريخ، ص 30.

وهذا التفاعل لا يتمّ إلاّ بطريقة جدليّة بين هذه العناصر جميعها.

فما هي الحاجة التي أدّت إلى ظهور الطبّ في الأندلس كعلم له موضوعه، وله منهجه ؟

للإجابة عن هذا التساؤل، ووفق الشكل المبيّن آنفا، نجد أنّ « وجود » الحضارة والمدنيّة من الأمور التي تستدعي توفّر الصناعة الطبيّة كما يصرّح بذلك ابن خلدون في مقدّمته[54].

أمّا موضوع علم الطبّ؛ فكما مرّ معنا سابقا عند تعريفه، أنّه « علم يتعرّف منه أحوال بدن الإنسان من جهة ما يصحّ ويزول عن الصحّة، ليحفظ الصحّة حاصلة ويستردّها زائلة »[55].

وأبو القاسم الزهراوي يذكر في حدّ الطبّ نقلا عن الرازي: « هو حفظ الصحّة على الأصحّاء، وردّها على المرضى بقدر طاقة الإنسان »[56].

وهذا ابن رشد يعرّف صناعة الطبّ وحدّها بقوله: « هي صناعة فاعلة عن مبادئ صادقة يلتمس بها حفظ بدن الإنسان وإبطال المرض وذلك بأقصى ما يمكن من واحد واحد من الأبدان؛ فإنّ هذه الصناعة ليس غايتها أن تبرئ ولا بدّ بل أن تفعل ما يجب في الوقت الذي يجب ثمّ ننتظر حصول غايته »[57].

وأمّا ابن خلدون فيعرّفه بقوله: « ومن فروع الطبيعيّات صناعة الطبّ، وهي صناعة تنظر في بدن الإنسان من حيث يمرض ويصحّ، فيحاول صاحبها حفظ الصحّة وبرء المرض بالأدوية والأغذية ... »[58].

الطبّ إذن، فرع من فروع الطبيعيّات، موضوعه جسم الإنسان، وما يلحقه في حالة الصحّة أو في حالة المرض، ويستلزم ذلك معرفة العلل وأسبابها، وكيفيّات العلاج، وما هي الأدوية اللازمة والأغذية الواجبة، وهذا كلّه يستدعي من الطبيب اتّباع منهج علميّ دقيق توجبه صناعة الطبّ؛ فما هو يا ترى هذا المنهج ؟..

لقد غلب على الطبّ الإسلامي بالأندلس في البدايات الأولى الاهتمام بالأدوية المفردة وبالعلاجات على كلّ اهتمام آخر، ولم يظهر الاهتمام بالأصول المتمثّلة في كتابات « أبقراط » و « جالينوس » إلاّ في فترات لاحقة ومتأخّرة، لذا يصعب الجزم بأنّ الاعتقادات الفلسفيّة المرافقة للممارسة

---

(54) ابن خلدون: المقدّمة، ص ص 739 – 742.

(55) ابن سينا: القانون في الطبّ، ج 1، ص 3.

(56) محمد العربي الخطابي: الطبّ والأطبّاء في الأندلس الإسلاميّة، ج 1، ص 134.

(57) محمد العربي الخطابي: نفس المصدر، ص 325.

(58) ابن خلدون: المقدّمة، ص 917.

الطبيّة، كانت اعتقادات ترقى إلى مستوى الفكر الفلسفيّ القادر على أن يمارس بكلّ وضوح واستقلاليّة ونضج، فإذا استثني الأطبّاء المشارقة الوافدون على الأندلس والمغرب، أو الأطبّاء الأندلسيّون الذين مكثوا مدّة من الزمن في المشرق، وتمرّسوا بأساليب النظر والتفكير الحكميّة ذات الأصول اليونانيّة والغنوصيّة، والذين استقدموا معهم مؤلّفات كبار الفلاسفة المشرقيّين، كمؤلّفات « أبي بكر محمّد بن زكريّا الرازي » الطبيب والفيلسوف، والتي دخلت إلى الأندلس في القرن الثالث[59]، إذا استثني هؤلاء جانبا، فلا يوجد إلاّ أطبّاء يقيمون ممارستهم الطبيّة على قاعدة فلسفيّة مزاجيّة ترجع إلى « أبقراط » (460 – 365 ق م) تؤمن بنظريّة الطبائع، وترى أنّ بالجسم طبائع أربع هي البرودة والحرارة واليبوسة والرطوبة، تقابلها أخلاط أربعة هي البلغم والدم والسوداء والصفراء، وأنّ الجسم يكون صحيحا والمزاج معتدلا طالما بقيت هذه الأخلاط متكافئة، وإذا غلب أحد هذه الأخلاط على الأخرى، فإنّ المزاج ينحرف، ويمرض الجسم.

وغالبا ما كانوا يمزجون نظريّة « أبقراط » بنظريّة « جالينوس » المتوفّى سنة 200 م، والذي كان يعطي أهميّة للتشريح ويعتبره أساس العلاج. وتكمن أهميّة طبّ « جالينوس » في أنّه كان تجريبيّا أكثر.

ولا تخرج نظريّة الأمزجة التي قام عليها الطبّ القديم عن إطار العلم الأرسطي الذي تلعب فيه نظريّة العناصر الأربعة دورا مركزيّا، غير أنّ أرسطو (384 – 322 ق م) تبنّى زاوية نظريّة مخالفة، إذ لم يعتبر العناصر أجساما أوّليّة وقائمة بذاتها، بل اعتبرها مجرّد مظاهر لشيء آخر ولجوهر واحد هو المادّة الأولى التي تتحوّل من شكل لآخر تبعا للكيفيّات التي تصيبها (البرودة، السخونة، اليبوسة، الرطوبة). كما يضيف عنصرا خامسا هو « الأثير » الذي لا يقبل الفساد[60].

لهذا فإنّ الأرسطيّة، كانت تمثّل آنئذ « العلم » السائد، والاعتماد عليها وعلى آرائها الطبيّة، كان اعتمادا على « العلم »، ولذا كان كثير من الأطبّاء الأندلسيّين على مذهب جالينوس الآخذ بالتعاليم الأرسطيّة والنظريّات الأبقراطيّة. وهذا التداخل فيما بين هذه الحقول المعرفيّة، ألا يدلّ على وجود طبقة من الأطبّاء كانت تمارس الطبّ إلى جانب الفلسفة ؟ ومن ثمّة غدا وجود تقليدين فلسفيّين أساسيّين هما: تقليد أرسطي، وتقليد غنوصي.

ومن الأطبّاء الذين كانوا على المذهب الأرسطي، نجد أبا القاسم الزهراوي، في كتابه « التصريف » عند حديثه عن أقسام الطبّ يقول:

---

[59] سالم يافوت: ابن حزم والفكر الفلسفي بالمغرب والأندلس، المركز الثقافيالعربي، الدار البيضاء، المغرب، 1986، ص ص 71 – 72.

[60] سالم يافوت: ابن حزم والفكر الفلسفي، ص ص 71 – 72.

« فالطبّ ينقسم قسمين: إلى علم وعمل؛ والعلم ينقسم ثلاثة أقسام: علم بالأمور الطبيعيّة، وعلم بالأسباب، وعلم بالدلائل؛ والأمور الطبيعيّة تنقسم سبعة أقسام: العناصر -وهي الأركان-، والأمزجة، والأخلاط، والقوى، والأعضاء، والأفعال، والأرواح »[61].

وولوع الأطبّاء بالنظر والرأي قد جعل منهم أطبّاء قياس، ميّالين إلى الاعتماد على علوم الفلسفة في استنباط الحقائق حول الجسم وطبيعته والآفات التي تجتاحه والأدوية التي تبرّئه، وقد زكّى هذا الاتّجاه الأطبّاء المسلمون آنذاك عند فصلهم وتفريقهم بين « إعمال النظر » و « إعمال اليد »، وتفضيلهم في أحيان كثيرة الأوّل على الثاني، بل إنّ منهم من كان يحتقر العمل باليد، وقد عبّر عن ذلك الموقف أبو مروان عبد الملك بن زهر الإشبيلي (ت. 557 هـ/1162 م) بقوله في كتاب « القانون »: « كما تعتقده الفرقة الفاضلة، فرقة القياس والتجربة »[62]. ويقول في كتابه « الأغذية »: « وفرقتنا – معشر الجالينوسيّين – إنّما مدار أمرنا على التجربة والقياس »[63].

ويذكر في كتابه « التيسير » عند التحدّث عن الجروح التي تصيب العظم ما يلي: « ففي مثل هذا لا بدّ من مشاهدة (صانع اليد) ويكون بدأ عمله الكشف عن العظم ثمّ تقويره بالصناعة التي ذكرها جالينوس في حيلة البرء، وقلّما يوجد في هذا الزمن من صناع اليد فضلا عنّا معاشر أطبّاء التجربة والقياس والتكلّم، دون مباطشة العمل باليد من يحسن ذلك. وإنّما ذكرته طمعا أن يوجد في الناس من يحسن تلك المباطشة ممّن له حذق وحنكة ودربة كثيرة »[64].

ويؤكّد ابن زهر في موقع آخر من كتابه احتقاره لصناعة اليد، ويبيّن سبب ذلك بقوله:

« وأمّا محاولة ذلك باليد فهو من أعمال بعض الخدمة للطبيب وكذلك الفصد والكيّ وقطع الشريان، وما هو أشرف من هذه رتبة مثل التشمير ولقط السبل، وأعلى رتبة من هذه للخدمة إجادة القدح، وكلّها من أعمال الخدّام للطبيب، وأمّا الطبيب فمن شأنه أن يدبّر بالأغذية والأدوية أمر المريض، ولا يتناول بيديه شيئا من ذلك، كما ليس من شأنه أن يعقد المعاجن إلاّ في الضرورة (...) وإنّما ذكرت من أعمال اليد ما ذكرت لأنّه إذا اضطرّ الطبيب في نفسه أو فيمن يحضر ممّن يغتنم الأجر فيه لا بدّ له أن يعمل ما يحسن عمله ممّا خفّ. وأمّا ما يكون من الأعمال المستقذرة القبيحة، كالشقّ على الحصى، فإنّ الحرّ لا

---

[61] محمد العربي الخطابي: الطبّ والأطبّاء، ج 1، ص 134.

[62] محمد العربي الخطابي: الطبّ والأطبّاء، ص 304.

[63] محمد العربي الخطابي: الأغذية والأدوية عند مؤلّفي الغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 1، 1990 م، ص 137.

[64] أبو مروان عبد الملك بن زهر: كتاب التيسير في المداواة والتدبير، تحقيق: الدكتور ميشيل الخوري، تقديم محي الدين صابر، الطبعة الأولى 1403 هـ/1983 م، دار الفكر، دمشق، سورية، ص 27.

يرضى لنفسه بعمل ذلك ولا بمشاهدته، وما أظنّ أنّ الشريعة تبيحه إذ فيه كشف العورة، وكشفها حرام »[65].

وفي الجانب الموازي، نجد أنصار المذهب الغنوصي الذي تقوّى بمجيء الأطبّاء المشرقيّين أمثال يونس الحرّاني وغيره، ثمّ تنامى فيما بعد مع الأطبّاء الأندلسيّين الذين ذهبوا إلى المشرق، وعلى الخصوص إلى مصر (والإسكندريّة بالذات) أو العراق (وحرّان بالذات)، أو بعض الأطبّاء الوافدين من هناك على الأندلس أو القيروان أمثال « إسحاق بن سليمان الإسرائيلي »[66] المصري وأستاذه « إسحاق بن عمران العراقي »[67]. وبين الإسكندريّة وحرّان اكتمل نموّ ونضج الفكر الأفلوطيني، ولا سيّما فيما يخصّ نظريّة الفيض، وعليه فمصادر فلسفة إسحاق الإسرائيلي وأستاذه ابن عمران يجب البحث عنها

---

[65] ابن زهر: التيسير، ص ص 319 – 320.

[66] إسحاق ابن سليمان الإسرائيلي: هو أبو يعقوب إسحاق بن سليمان الإسرائيلي، ولد في مصر حوالي سنة 236 هـ/850 م، وبها نشأ وتعلم الطبّ وامتهن الكحالة، وتتلمذ على يد الطبيب البغدادي إسحق بن عمران ولازمه أثناء مقامه في القيروان، استقدمه إلى إفريقية آخر الأمراء الأغالبة زيادة الله الثالث سنة 293 هـ/905 م وبقي في خدمته إلى عهد العبيديين، فانتقل إلى خدمتهم إذ لازم عبيد الله المهدي (296 هـ/908 م – 322 هـ/933 م) وابنه القائم (322 هـ/933 م – 334 هـ/945 م) إلى غاية المعز لدين الله الفاطمي (341 هـ/953 م – 365 هـ/975 م) وفي عام 341 هـ/953 م توفي ابن سليمان الإسرائيلي بعدما نيف على المائة سنة، وألف في الطب باللغتين العربية والعبرية وعدد مؤلفاته بلغ اثنا عشر كتابا كما وردت في عيون الأنباء منها كتاب الأدوية المفردة والأغذية وكتاب في النبض وكتاب في الترياق وغيره.

انظر حوله: ابن أبي أصيبعة، ج 3، ص ص 58 – 59؛ صاعد: طبقات الأمم، ص 87 – 88؛ ابن عذاري: البيان المعرب، ج 1، ص 141؛ ابن مراد: المصطلح الأعجمي، ج 1، ص 46؛ ابن مراد: بحوث في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، ص ص 64 – 67.

[67] إسحاق بن عمران العراقي: هو أبو يعقوب إسحاق بن عمران، وفد على إفريقية من مصر التي كان انتقل إليها من بغداد، حيث ولد في فترة لم تحدد بعد، وفي بغداد تلقى تعليمه وبز أهل زمانه في الطب والفلسفة، ودعاه حوالي سنة 262 هـ إبراهيم الثاني الأغلبي (261 هـ/874 م – 289 هـ/902 م) إلى إفريقية؛ فنزح إليها وانضمّ إلى حاشية الأمير الأغلبي، فنال حظوة كبيرة، إلاّ أنّ نهايته كانت تعسة، إذ سعى ضدّه طبيب يهودي منافس عند الأمير الأغلبي إبراهيم الثاني (249 هـ/864 م – 250 هـ/865 م)، فأثار ذلك الأمير وحدثت بينهما وحشة حتّى قتل غيلة سنة (279 هـ/892 م). ومن آثار هذا الطبيب كتاب الأدوية المفردة، كتاب العنصر والتمام في الطبّ، وكتاب نزهة النفس وغيره، ومن تلاميذه أهمهم ابنه علي وزياد بن خلفون، وأبو بكر محمد بن الجزار وإسحاق بن سليمان الإسرائيلي.

انظر حوله:

– ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ج 3، ص ص 56 – 58.

– صاعد: طبقات الأمم، ص 60 – 61.

– ابن عذاري: البيان المعرب، ج 1، ص 122.

– الراضي الجازي: علم من أعلام الطب والصيدلة بإفريقية: "إسحاق بن عمران" في "الصيدلي التونسي" (تونس)، ج 13، 1984، ص ص 43 – 44.

– ابن مراد: المصطلح الأعجمي، ج 1، ص 22.

داخل إطار الفلسفة الإسماعيليّة بالذات[68]، وممّا يقوّي هذا الرأي هو خدمته كطبيب في بلاط زيادة الله بن الأغلب (290 هـ/902 م – 296 هـ/908 م)[69] ثمّ خلفه عبيد الله المهدي؛ غير أنّ ما يرويه ابن أبي أصيبعة يثبت أنّ العلاقة لم تتعدَّ حدود مهنته كطبيب، ولا تربطه بالدعوة الفاطميّة أيّة وشيجة، لكن الثابت، أنّه كان غنوصيّا، أي غير بعيد عن الإسماعليّة، ولا تفصله عنها مسافة فكريّة ونظريّة كبرى[70] لذا فإنّ محاولة ردّ أصول المدرسة الفلسفيّة بالباطنيّة الأندلسيّة التي ترأّسها « محمد بن مسرة ». إلى ابن سليمان الإسرائيلي، محاولة صائبة، ولذا اتّسمت فلسفة ابن مسرة بالغموض والإبهام مصدرها تداخل العناصر السنيّة الإسلاميّة، والعناصر الفلسفيّة ذات المصدر الشرقي والباطني في تصوّفه.

والحقّ أنّ غلبة الاتّجاهين أو المذهبين الآنفي الذكر – الأرسطي والغنوصي – داخل المدرسة الطبيّة الفلسفيّة الأندلسيّة، لم تكن – هذه الغلبة – لوحدها، بل حجبت شهرتها والصراع المعرفي للاتّجاهين، شهرة مدرسة طبيّة أندلسيّة ثانية، يمكن تسميتها بـ « المدرسة الطبيّة المحض »، وإن لم تقصِ القياس ولم تقضِ عليه، ومن خصائص هذه المدرسة اثنتين مهمّتين:

1. *أولاهما هي إعمال اليد:* فإنّ الطبّ لم يبق مجرّد نظر في الكليّات واستقراء للجزئيّات بل أصبح يجمع بين النظر والتطبيق وبين العلم النظري والعلم التطبيقي، وأهمّ ما أعملت فيه اليد مجالان اثنان:
   - ◊ أوّلهما هو الجراحة، وأشهر ما عرف بها وعرّف بها هو أبو القاسم عبّاس بن خلف الزهراوي في الجزء الثلاثين من كتاب « التصريف لمن عجز عن التأليف »، وقد اشتهر أمر هذا الجزء فترجم إلى أكثر من لغة ونشر نصّه العربيّ وحظي بالدراسة والتحليل [71]، وطغت شهرة الزهراوي في مجال الجراحة على غيره من الأطبّاء، ولا شكّ أنّ الدراسة المعمّقة لهذا النوع من الممارسة الطبيّة في تاريخ الطبّ الإسلامي، ما زالت في حاجة إلى تقصّي وبحث دقيق.
   - ◊ وثاني المجالين هو تحضير الأدوية، وهذا المجال أيضا لا يزال في الدراسات الحديثة بعيدا عن التحقيق والتمحيص المطلوبين، فهو متنازع بين الطبّ والصيدلة، وممّن عني بمباشرة الدواء بيده في الأندلس، نجد أبا مروان عبد الملك بن زهر، فقد صرّح بأنّه لا يحبّ ممارسة الجراحة لكنّه أظهر شدّة ولعه بعمل الأدوية، فهو يصف نفوره من إعمال اليد بقوله: « وأمّا الطريق العملي فإنّي لا أعرف

[68] سالم يافوت: ابن حزم والفكر الفلسفي، ص ص 73 – 74.

[69] ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ج 3، ص ص 56 – 59.

[70] سالم يافوت: ابن حزم والفكر الفلسفي، ص ص 71 – 72.

[71] لقد أشرنا إلى هذا من قبل عند الحديث عن الزهراوي.

أجزاءه ولا باطشت شيئا من ذلك ولا عانيت تشريحا ولا وجدت في نفسي معينا على ذلك؛ فإنّي متى رأيت الجراحات ضعفت نفسي حتّى أكاد أن يغشى عليّ ولا رأيت قطّ مادّة إلاّ وتهوّعت معدتي وربّما تقيّأت »[72].

وصرّح في موضع آخر من الكتاب حبّه لصناعة الأدوية بقوله:

« وأمّا أنا فإنّ في نفسي مرضا من أمراض النفوس من حبّ أعمال الصيدلانيّين وتجربة الأدوية والتلطّف في سلب بعض قوى الأدوية وتركيبها في غيرها، وتمييز الجواهر وتفصيلها ومحاولة ذلك باليد. وما زلت مغرما بذلك مبتلى بحبّه، فسلكت هذا المنهاج شهوة فيه وإن كان على ما هو عليه من الامتهان، غير أنّي ألتذّ بعمله كما يلتذّ غيري بالفلاحة وبالقنص »[73].

وثاني طبيب أندلسي هو أبو جعفر أحمد الغافقي (ت. 560 هـ/1115 م)، فقد أشار في مقدّمته كتابه « الأدوية المفردة » إلى أنّ معظم أطبّاء عصره في الأندلس صيادلة يتولّون عمل الأدوية بأنفسهم:

« أطبّاؤنا هؤلاء كلّهم صيادلة (...) يتولّون بأنفسهم عمل الأدوية المركّبة وجميع أعمال الصيدلة. وما أقبح بأحدهم – لو عقلوا – أن يطلب أدوية مفردة لتركيب دواء، فيؤتى بأدوية لا يعلم هل هي التي أراد أم غيرها فيركّبها ويسقيها عليله ويقلّد فيها الشجّارين ولقّاطي الحشائش (...)، وأنا أقول إنّ أطبّاءنا هؤلاء كلّهم إنّما هم صيادلة، ولا تكسّب لهم ولا معاش إلاّ من الصيدلة وهم لا يعلمون ذلك »[74].

وهذا ابن رشد يشيد ببني زهر وانفرادهم بعلم الأدوية، فيقول:

« وبالجملة فمنفعة هذا القانون إنّما هي بالقوى الثواني والثوالث، وهو – كما قلنا – قانون جامع وإن كان يوجد في تراكيب القدماء فلم يشيروا إليه بالقول ولا نبّهوا عليه، وأمّا الذين لهم في هذا أفضل التنبيه فهم هؤلاء القوم بنو زهر، فإنّ لهم لعمري محاسن كثيرة في هذه الصناعة »[75].

تلك إذن هي الخاصيّة الأولى، وهي تثبت أنّ الطبّ لم يكن في نظر هؤلاء الأطبّاء الذين ذكرنا كليّات نظريّة وأصولا علميّة محضا بل هو تطبيق عمليّ أيضا.

---

[72] ابن زهر: التيسير، ص 70.

[73] ابن زهر: نفس المصدر، ص 320.

[74] إبراهيم بن مراد: بحوث في تاريخ الطبّ والصيدلة عند العرب، ص 423.

[75] محمد العربي الخطابي: الأغذية والأدوية عند مؤلّفي الغرب الإسلامي، ص 413.

2. *وثانية الخاصيّتين هي التجريب:* ذلك أنّ أهمّ ما ميّز هذه المدرسة هو الاعتماد على التجربة والملاحظة والمشاهدة. وهذا أيضا جانب ما زال لم ينل حظّه من الدراسة المعمّقة لأنّ دلائله لا تزال موزّعة ومفرّقة في مظانّ كثيرة مخطوطة، ويمثّل التجريب ثلاثة مجالات:

◊ أوّلهما هو الملاحظة العلميّة السريريّة، وللقياس في هذا المجال دور كبير، ومهما يكن من أمر فإنّ هذا المجال مشترك بين المدرستين لأنّ الملاحظات السريريّة عند الطبيب ابن زهر كثيرة جدّا، تغني عن كلّ تعليق، وسنوردها في مقامها[76].

◊ وثاني المجالات هو تجريب الأدوية، فإنّ الطبيب كان لا يقنع بما تخبره به الكتب عن خصائص الدواء العلاجيّة بل هو يتبيّن نجحها بنفسه، إلاّ أنّه لا ترد تفاصيل حول كيفيّة التجريب والاختبار، ونورد على هذا المنزع إلى التجريب مثالين:

- أوّلهما هو ابن زهر في كتاب التيسير؛ فهو كثيرا ما يذكر دواء مركّبا، ثمّ يلاحظ أنّه جرّبه فحمده، ومن أمثلة ذلك قوله عن شراب السكنجبين: « وزعم الأطبّاء وشهدت التجربة »[77] وقوله عن الزمرّد وفضله في تقوية المعدة: « شهدت التجربة أنّ الزمرّد يقوّي المعدة، وينفع من الصرع بتعليقه على الإنسان بحول الله »[78]، وحول فائدة رؤوس الأرانب يقول: « ووجدت بالتجربة أنّها تنفع من الخدر والفالج وإن كان لم يذكر ذلك متقدّم »[79].
- وثاني المثالين هو أبو محمد عبد الله بن أحمد ابن البيطار (ت. 646 هـ/1248 م)، فقد أبرز في مقدّمة كتابه « الجامع لمفردات الأدوية والأغذية » منحاه التجريبي فقال في الغرض الثاني: « الغرض الثاني صحّة النقل فيما أذكره عن الأقدمين وأحرّره عن المتأخّرين، فما صحّ عندي بالمشاهدة والنظر وثبت لديّ بالخُبْر لا الخَبَر ادّخرته كنزا سرّيّا وعددت نفسي عن الاستعانة بغيري فيه سوى الله غنيّا، وما كان مخالفا في القوى والكيفيّة والمشاهدة الحسّيّة في المنفعة والماهيّة للصواب والتحقيق أو أنّ ناقله أو قائله عدلا فيه عن سواء الطريق، نبذته ظهريّا وهجرته مليّا وقلت لناقله أو قائله لقد جئت شيئا

---

[76] عند الحديث عن ابن زهر الطبيب، في الفصل الخاصّ به، سنورد الكثير من ملاحظاته السريريّة، وكيفيّة استعماله للقياس والنظر العقلي، ومظاهر الجدّة والابتكار والاكتشاف عنده.

[77] ابن زهر: التيسير، ص 11.

[78] ابن زهر: التيسير، ص 12.

[79] ابن زهر: نفس المصدر، ص 12.

فريّا، ولم أخاب في ذلك قديما لسبقه ولا محدثا اعتمد غيري على صدقه »[80]. وقد انتقد ابن البيطار بالفعل أطبّاء كثيرين قد أخطأوا في الحديث عن خصائص الأدوية العلاجيّة أو في تحديد ماهيّتها[81].

◊ وثالث المجالات هو التشريح، وهذا أيضا باب من أبواب الطبّ الإسلامي لا يزال بحاجة إلى الدراسة والتحقيق؛ فلقد اعتقد الدارسون ولا يزالون أنّ الأطبّاء المسلمين كانوا لا يشرّحون الجسم – بشريّا كان أو حيوانيّا – لتحريم ذلك شرعا، ويمكن أن يستدلّ على هذا المذهب ببعض من مواقفهم وآرائهم، مثل الرأي الذي نسبته كتب التراجم إلى يوحنّا بن ماسويه (ت. 243 هـ/857 م) وهو قوله: « ولولا كثرة فضول السلطان ودخوله فيما لا يعنيه لشرّحت ابني ذا حيّا مثلما كان جالينوس يشرّح الناس والقرود، فكنت أعرف بتشريحه الأسباب التي كان لها بلادته وأريح الدنيا من خلقته، وأكسب أهلها بما أضع في كتابي من صنعة تركيب بدنه ومجاري عروقه وأوراده وأعصابه علما، ولكن السلطان يمنع من ذلك »[82].

ثمّ مثّل هذا الرأي الذي ذكرناه آنفا لأبي مروان عبد الملك بن زهر في الشقّ على الحصى – وهذا من الجراحة، والجراحة والتشريح صنوان – وهو قوله: « وأمّا ما يكون من الأعمال المستقذرة القبيحة كالشقّ على الحصى، فإنّ الحرّ لا يرضى لنفسه بعمل ذلك ولا بمشاهدته، وما أظنّ أنّ الشريعة تبيحه إذ فيه كشف العورة، وكشفها حرام »[83].

لكن مقالة ابن زهر هذه نجد ما يفسّرها، إذ صرّح بأنّه لم يمارس الجراحة ولا التشريح، وذلك بسبب ضعف نفسه وعدم تحمّلها رؤية الجراحات، وربّما تقيّأ[84].

ونجد في تراث الأطبّاء الأندلسيّين ما يقوّض دعائم هذا الافتراض، فهذا أبو القاسم الزهراوي يقول: « على الطبيب أن يرتاض في علم التشريح الذي وضعه جالينوس حتّى يقف على منافع الأعضاء وهيآتها ومزاجها واتّصالها وانفصالها ومعرفة العظام والأعصاب والعضلات وعددها ومخارجها ... لأنّ من لم يكن عالما بالتشريح لم يخلُ أن يقع في خطإ يقتل الناس به، كما شاهدته كثيرا »[85].

---

[80] ابن البيطار: الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج 1، ص 3، نقلا عن إبراهيم بن مراد: المصطلح الأعجمي في كتب الطبّ والصيدلة العربيّة، ج 1، ص 178، وانظر لنفس المؤلّف: بحوث في تاريخ الطبّ والصيدلة، ص 20.

[81] إبراهيم بن مراد: المصطلح الأعجمي، ج 1، ص ص 189 – 191.

[82] جمال الدين القفطي: تاريخ الحكماء، تحقيق يوليوس الير، ليبزيغ، 1903 (496 + 22 ص)، ص ص 390 – 391. وانظر ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ج 2، ص ص 128 – 129.

[83] ابن زهر: التيسير، ص 320.

[84] ابن زهر: التيسير، ص 70.

[85] محمد العربي الخطابي: الطبّ والأطبّاء، ج 1، ص 212 و ص 347.

أمّا الطبيب ابن زهر أبو مروان، فيقول في كتابه التيسير:

« (...)، وقلّما يوجد في هذا الزمن من صناع اليد فضلا عنّا معاشر أطبّاء التجربة والقياس والتكلّم، دون مباطشة العمل باليد من يحسن ذلك. وإنّما ذكرته طمعا أن يوجد في الناس من يحسن تلك المباطشة ممّن له حذق وحنكة ودربة كثيرة. فإنّه لا يجب أن يتعرّض لذلك إلاّ من باطشه تلميذا بين يدي معلّمه مدّة طويلة ثمّ باطشه منفردا بذاته مدّة »[86].

وأمّا الفيلسوف ابن رشد يقول في الكلّيّات:

« (...)، فإنّه لم يزعم قطّ أحد من المشرّحين – وجالينوس في جملتهم – أنّه تصل إليه حرارة من غيره من الأعضاء ... »[87].

« (...)، وكان يظهر بالتشريح أنّه ولا عضو واحد ... ليس يظهر فيها روح، بالتشريح، ينفذ منها في الأوراد إلى سائر البدن »[88].

ويقول أيضا: « (...)، وأيضا فقد ظهر بالتشريح أنّ القلب هو ينبوع الحرارة الغريزيّة في البدن وأنّ منه تنبثّ إلى جميع الأعضاء،... »[89].

فهذه النصوص على اختلافها توضّح بجلاء أنّ التشريح كان علما قائما بذاته وله منهجه الخاصّ، ويعتبر – أي التشريح – أساس علم الجراحة، فمن لم يتعلّمه لم يمكن له أن يتمرّس في عمل اليد (الجراحة).

وخلاصة القول على مستوى البحث النظري لموضوع علم الطبّ ومنهجه وبعد مناقشته من زاوية علاقته بالفلسفة، ومن زاوية انفصاله والتعامل معه على أساس علم عمليّ بحت؛ – خلاصة القول – أنّ الأطبّاء المسلمين لم يكونوا مجرّد نقلة للنظريّات اليونانيّة في الطبّ ولم يكونوا أطبّاء قياس فقط، بل إنّهم قد أنشأوا أيضا مدرسة طبيّة محضا، وهذا لا يعني خلوّ المدرسة الطبيّة الفلسفيّة من التجريب والملاحظة العلميّة، كما أنّ المدرسة الطبيّة المحض لم تكن خلوا من أثر الفلسفة والقياس.

بعد هذا المستوى الأوّل من التنقيب والتشريح لمسألة منهج علم الطبّ، لا بدّ أن ننتقل إلى المستوى الثاني، وهو دراسة المحدّدات غير المباشرة والتي كانت تتحرّك من خارج المحيط المعرفي لعلم الطبّ في حدّ ذاته، تلك التي مثّلتها سلطة المجتمع وسلطة المعرفة حركة التاريخ.

---

[86] ابن زهر: التيسير، ص 27.

[87] ابن رشد: الكليات، تحقيق محمد العربي الخطابي، الطب والأطباء، ج 1، ص 343.

[88] ابن رشد: الكليات، ص 344.

[89] ابن رشد: الكليات، ج 1، ص 344.

2/ المحدّد السيّاسي :

تطرّقنا من قبل إلى دور الحكّام في توجيه الحركة العلميّة الأندلسيّة، وسنواصل هنا تتبّع كيفيّة سلطة الدولة في تحديد منهج البحث في علم الطبّ، إذ عرفنا من خلال ما سبق ذكره أنّ الملك أرمانيوس هو الذي بعث بكتاب ديسقوريدس إلى الخليفة الناصر ضمن الهدايا المرسلة إليه، وبأنّ الناصر طلب من ملك القسطنطينيّة إيفاد من يعلم اللسان اليوناني لترجمة هذا الكتاب، مع أنّ خزانته كانت تتوفّر على ترجمة اصطفن لهذا الكتاب والتي تمّت بمدينة السلام بغداد، فهذا التجاوز الذي تمّ من طرف الخليفة الناصر لهو في حقيقة الأمر تجاوز لنفوذ السياسة العبّاسيّة في المشرق والتي كانت تنظر للدولة الأمويّة الأندلسيّة ندّا لها، وتجاوز لمفهوم الهيمنة الثقافيّة العبّاسيّة المعتمدة على عقيدة المعتزلة والفلسفة الأرسطيّة، ثمّ العقيدة الأشعريّة أثناء صراعها مع الباطنيّة؛ فإنّ الدولة الأمويّة في الأندلس اعتمدت عقيدة أهل السنّة والأساس العلمي الأرسطي القائم على التجربة والقياس لتشييد مشروع الدولة الإيديولوجي وبناء المضمون المعرفي للحركة العلميّة في بلاد الأندلس.

فالرجوع إلى الأصل اليوناني وترجمته إلى العربيّة من طرف الراهب نيقولا، من غير الاعتماد على الترجمة السريانيّة التي تمّت بالمشرق معناه إلغاء الوسيط المعرفي لأنّه يمثّل إيديولوجيا الآخر المضادّ، ويمثّل انحرافا منهجيّا في عمليّة تأسيس البناء المعرفي العلمي، وهكذا – يكون الخليفة الناصر أثناء توطيد علاقاته الديبلوماسيّة مع الإمبراطوريّة البيزنطيّة للتحالف معا ضدّ الخلافة العبّاسيّة التي كانت تعمل في الاتّجاه المعاكس، أي إقامة علاقات وتحالفات مع إمبراطوريّة شارلمان معا ضدّ الخلافة الأمويّة بالأندلس – يكون قد شقّ طريقا آخر جديدا ستتّضح أبعاده الإيبستيمولوجيّة فيما بعد.

وممّا يلفت النظر في سياسة عبد الرحمن الناصر الثقافيّة أمران اثنان: رعايته الخاصّة لمنذر بن سعيد البلّوطي الظاهري المذهب الذي عيّنه قاضي القضاة، هذا من جهة؛ وتقريبه من جهة أخرى للطبيب اليهودي المشهور آنذاك حسداي بن شبروط، وسواء ما قام به الخليفة بوعي منه ووفق استراتيجيّة ثقافيّة معيّنة، أم لا، أي من غير قصد منه وخطّة مسبّقة؛ فهذه الظاهرة أفرزت نتيجتين فيما بعد وهما: الأولى ظهور ابن حزم ومذهبه الظاهري العقلاني النقدي، والثانية نشاط اليهود في الأندلس ثقافيّا وفلسفيّا ودينيّا.

لكن هذا الاتّجاه الظاهري في جانبه الديني وفي جانبه المعرفي كان مجرّد وجود بالقوّة، ما زال جنينا في رحم التجربة التاريخيّة تعطّلت لحظة ميلاده بسبب أمرين اثنين هما: أوّلا، غلبة الاختصاص

العلمي العميق على الاتّجاه الفلسفي في العلوم العقليّة النظريّة والتجريبيّة (الطبّ، الريّاضيّات، الفلك ... الخ)، وهذا معناه رجحان الدور الذريعي الدنيوي الخالص للعلوم، وهذا كلّه مؤسّس على قاعدة اعتماد الأصل مباشرة، وهو ما يفسّر ما قام به الخليفة الناصر لمّا أُهدي إليه كتاب خصائص الأعشاب لديسقوريدس.

أمّا ثانيا، اعتماده – أي الخليفة – على منذر بن سعيد البلّوطي الظاهري المذهب، وجعله قاضي القضاة، معناه رجحان الفلسفة الظواهريّة (ظاهر الطبيعة وظاهر الشريعة) في تحليل المضمون العلمي الذي تحمله سواء علوم الشريعة أو علوم الطبيعة، وهذا كلّه مؤسّس على قاعدة اعتماد ظاهر النصّ ونفي التأويل، ومن ثمّة لم تعد هناك غرابة منذ ذلك التاريخ في الأندلس في أن نجد تطابق خطّ الأرسطيّة مع خطّ الظاهريّة، ممّا أفرز في النتاج العلمي الأندلسي تحويل إبستيمولوجيا النظر والعمل إلى « كسمولوجيا » أو لنقل رؤية كونيّة تعتمد في أساسها الفيزياء الأرسطيّة لتفسير مقولات الطبيعة والمذهب المالكي لتفسير مقولات الشريعة.

لكن هذا الجمود المؤقّت، لم يدم طويلا، إذ بمجيء الخليفة الحكم الثاني المستنصر الذي تولّى الخلافة سنة 350 هـ بعد أبيه الناصر، نشطت الحركة العلميّة بمختلف اتّجاهاتها وبدأ الاهتمام بعلوم الأوائل على حدّ تعبير صاعد الأندلسي، وهذا ما حرّر البحث في ميادين الفلسفة والطبيعة بل والشريعة، وعدم الجمود عند التقليد وكفى، ولكن كما رأينا من قبل، أنّ هذا الاتّجاه المنشغل بمضمون المعرفة العلميّة انقطع زمن استمراريّته بمجيء الحاجب المنصور ابن أبي عامر الذي عمد إلى خزائن كتب الحكم وأبيه الناصر، وأمر بإحراقها تحبّبا منه إلى العامّة وجمهور الفقهاء، بل إنّ من النتائج المباشرة لحركة المنصور العامري، هو الرجوع بالفقه المالكي إلى الدور البدائي وهو مرحلة التقليد وحصر مهمّة الفقيه في إصدار الفتاوى فقط.

وقد سلمت كتب الطبّ والفرائض والحساب من هذا الإتلاف الذي أوقعه المنصور بالخزانة القرطبيّة ولم يحظر على العلماء والطلاّب الاشتغال بها شأنها في ذلك شأن علوم الشريعة واللسان، أمّا الذين كانوا يعنون بشيء من العلوم والطبيعة والفلك والفلسفة والمنطق فإنّهم اضطرّوا إلى كتمان ما يعرفونه، وبقي الحال كذلك إلى أن انقرضت دولة بني أميّة من الأندلس وتوزّع الأمر بين ملوك الطوائف في صدر المائة الخامسة، وبيع ما كان بقي بقصر قرطبة من ذخائر بني أميّة من الكتب وسائر المتاع بأبخس ثمن، وانتشرت تلك الكتب بأقطار الأندلس، وكان ما يزال فيها بقيّة من كتب علوم الأوائل

« أفلتت من أيدي الممتحنين لخزانة الحكم » حسب عبارة القاضي صاعد؛ فعادت الحال إلى « أفضل ممّا كانت بالأندلس في إباحة تلك العلوم والإعراض عن تحجير طلبها، إلاّ أنّ زهد الملوك في هذه العلوم وغيرها واشتغال الخواطر بما دهم الثغور من تغلّب المشركين عاما فعاما على أطرافها وضعف أهلها عن مدافعتهم عنها قلّل طلاّب العلم وصيّرهم أفرادا بالأندلس ».

هذه الصورة الدقيقة التي وصف بها القاضي صاعد حال بلاد الأندلس من تمزّق سياسي داخلي وخطر خارجي يهدّد كيان وجود المسلمين وعزوف عن طلب العلم، كلّ هذا جعل كبراء الأندلس من علماء وفقهاء ووجهاء يستنجدون بأمير المرابطين يوسف بن تاشفين ليجعل حدّا لهذه الحرب الأهليّة الضروس، وقد انتقل إليها ثلاث مرّات وانتهى به الأمر أخيرا بدءا من سنة 484 هـ إلى أن يجعل من الأندلس ولاية مرابطيّة، ولقد كان الجهاز السياسي والإداري للمرابطين خاضعا لنفوذ الفقهاء المالكيّين؛ فضيّقوا على حرّيّة الفكر التي انتعشت بعض الشيء زمن ملوك الطوائف، وهذا من أجل وحدة الصفّ ووحدة الإدارة السياسيّة، فسادت ظاهرة هيمنة التقليد في الفقه والعقيدة ممّا أدّى إلى الجمود والانحراف، الأمر الذي سيركّز عليه ابن تومرت في حركته الإصلاحيّة، بل والثوريّة على دولة المرابطين.

لقد اتّخذ المهدي بن تومرت شعار « الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » سلاحا دينيّا، واتّخذ شعار « ترك التقليد والرجوع إلى الأصول » سلاحا إيديولوجيّا (فكرانيّا)، إذ كان المرابطون في نظر ابن تومرت منحرفين عن الدين الصحيح لأنّ فقهاءهم اعتمدوا القياس، قياس الغائب على الشاهد فأوقعوا الناس وأوقعوا أنفسهم ودولتهم في التشبيه والتجسيم على مستوى العقيدة، كما كرّسوا التقليد على مستوى الشريعة لوضعهم الفروع مكان الأصول فابتعدوا عن الكتاب والسنّة.

إنّ الأساس الإبيستمولوجي الذي وضعه المهدي بن تومرت لسياسته العلميّة والقاعدة الدينيّة لعمله السياسي، لهو في الحقيقة استعادة مباشرة للمضمون الديني والأساس المعرفي لظاهريّة ابن حزم؛ فما هي الأطروحات المنهجيّة التي اعتمدها المهدي لتحقيق مشروعه السياسي المتمثّل في دولة الموحّدين ولتحقيق مشروعه العلمي القائم على الاجتهاد وبالرجوع إلى الأصل ؟

أهمّ أثر فكري يحتفظ للباحث بمنهجيّة ابن تومرت هو « كتاب أعزّ ما يطلب » الذي جمع فيه خليفته عبد المؤمن بن علي، المؤسّس الفعلي للدولة الموحّديّة، الأحاديث والتعليقات التي تشكّل ما يمكن اعتباره الأساس النظري والإطار الإيديولوجي العامّ لدعوة ابن تومرت الإصلاحيّة، بل في حقيقة الأمر إنّ هذا الكتاب هو بمثابة مقال جديد في منهجيّة التفكير والبحث في شؤون العقيدة والشريعة، إذ أنّ المبدأ

المعرفي الذي يقود خطاب المهدي ابن تومرت في هذا المؤلّف هو مبدأ « الثالث المرفوع » أو حسب عبارته مبدأ « لا وسط بين النفي والإثبات »، وهذا رفض واضح لتلك القيمة المعرفيّة التي كان ينشدها بإلحاح التفكير الكلامي والفلسفي والفقهي من وراء اعتماد قياس الغائب على الشاهد في إنتاج المعرفة. ولأنّ من جهة ثانية هذا النوع من القياس يؤدّي إلى التشبيه والتجسيم في مجال العقيدة، وهو بذلك يقدّم مشروعا معرفيّا ولكن بخطاب إيديولوجي لأنّ المخاطب الآخر هم المرابطون، الخصم السياسي؛ فهو يمارس السياسة في الدين بهدف تغيير الواقع السياسي القائم، ويمارس السياسة في العلم بهدف إنشاء واقع فكري جديد، وهذا كلّه مؤسّس على دعوة الرجوع إلى الأصول ومن ثمّة نبذ التقليد والدعوة إلى الاجتهاد والتأصيل.

إنّ الخليفة الموحّدي عبد المؤمن يسير في الاتّجاه نفسه، وشجّع العلماء والفلاسفة على طرح الإشكالات العلميّة والمقولات الفلسفيّة التي ما كان لهم أن يناقشوها أثناء سلطة الفقهاء في عهد الدولة المرابطيّة، والأمر نفسه في عهد خليفة عبد المؤمن ونعني يعقوب المنصور الذي ثارت ثورته على الفلاسفة والعلماء عندما طرحوا من جديد مسألة ظاهر النصّ وباطنه، ومن ثمّة القول بأنّ الشريعة ظاهر وباطن، بل حتّى الطبيعة في قوانينها قائمة على هذا المفهوم الإثني، وهو ما يرفضه المشروع الموحّدي النافي للقياس ومن ثمّة للتأويل[90].

خـــــاتمـــة

خلاصة هذه الدراسة للمحدّد السياسي للنشاط العلمي في بلاد الأندلس منذ الخليفة عبد الرحمن الناصر مؤسّس الحركة العلميّة الأندلسيّة إلى أيّام يعقوب المنصور الموحّدي، اتّسم بالهروب إلى فلسفة الظواهر (ظاهر الشريعة، وظاهر الطبيعة)، ومن هناك تأسّس المذهب الظاهري الذي كان يحمل مشروعا إيديولوجيّا مضادّا للإيديولوجيا الفاطميّة الباطنيّة، ويتضمّن مشروعا معرفيّا جديدا مخالفا في طبيعة خطابه العلمي الأطروحات المعرفيّة لدى الدولة العبّاسيّة لأنّه رآها قاصرة عن الوقوف لصدّ الخطاب العلمي العرفاني بل الغنوصي الشيعي.

وبهذه الطريقة تمّ تشكيل المضمون المعرفي في الغرب الإسلامي؛ فالظاهريّة، ما هي إلاّ أداة عمليّة نفعيّة من الجانب التطبيقي من أجل تحقيق الوحدة الاجتماعيّة المفقودة على مستوى السلطة والوحدة الفكريّة على مستوى العلم.

---

(90) انظر بخصوص هذه المسألة لمزيد من التوسّع: الجابري: تكوين العقل العربي ص ص 311 – 313؛ وسالم يافوت: ابن حزم والفكر الفلسفي، ص ص 443 – 455.

المصـادر والمراجـع:

د. طه عبد الرحمن: تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 1994 م.

(2) د. محمد عابد الجابري: مدخل إلى فلسفة العلوم، الجزء الأول، تطور الفكر الرياضي والعقلانية المعاصرة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط 2، 1982 م، ص 35.

(3) أبو حامد الغزالي (ت 505 هـ)، كتاب العلم، من إحياء علوم الدين، تقديم: رضوان السيّد، الطبعة الأولى، دار اِقرأ، بيروت، لبنان، ط 1، 1403هـ/1983م.

4- د. جلال محمد عبد الحميد موسى: منهجيّة البحث العلمي عند العرب في مجال العلوم الطبيعيّة والكونيّة، بيروت، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الأولى 1982 م

5- ياقوت الحموي: معجم الأدباء، المعروف بـ« إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب » نسخ وتصحيح د.س.مرجيليوث D. S.Margeliouth، الطبعة الثانية، مطبعة هندية بالموسكي، مصر 1930، ج 6،

6- يوسف إلياس سركيس: معجم المطبوعات العربيّة والمعرّبة، طبع في لبنان، دون تاريخ للنشر، ج.

7- وابن أبي أصيبعة (العيون): ط. دار الثقافة، بيروت، ط 3، 1401هـ/1981م..

8- الجاحظ: البيان والتبيين، ج 1، ص 328.

9- ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، حيدر آباد 1334 هـ، ج 1

10- السيوطي: تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار النهضة، القاهرة، الطبعة الأولى 1967 م

11- د. يحيى عبد الرؤوف جبر، أستاذ علم اللغة المشارك بجامعة النجاح الوطنيّة، عمّان، الأردن: الاصطلاح مصادره ومشاكله وطرق توليده، مجلّة اللسان العربي، العدد 1413/36 هـ - 1992 م.

12- طالب عبد الرحمان: السنّة عبر العصور، ديوان المطبوعات الجامعيّة - الجزائر، الطبعة الأولى 1984.

13- محمد عابد الجابري: التراث ومشكل المنهج، مجلّة المستقبل العربي، ع 83 (1986/1)، بيروت، لبنان.7.

14- د.يوسف لقرضاوي: بيّنات الحلّ الإسلامي وشبهات العلمانيين والمتغرّبين، مكتبة رحاب، الجزائر، الطبعة1989،2،صص177-123.

15- د. طه عبد الرحمان: تجديد المنهج في تقويم التراث، الطبعة 1994/1 م، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب.

16- د. محمد عابد الجابري: تكوين العقل العربي، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الثانية 1985.

17- ابن النديم: الفهرست، تحقيق غوستاف فلوغل، ليبزيغ، 1872.

18- صاعد الأندلسي: طبقات الأمم، تحقيق لويس شيخو، بيروت، .

19- جورج سارتون: تاريخ العلم، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة 1978، ج 2، ج رقم 27 - 28 - 29 - 30.

20-ومحمد عبد الرحمن مرحبا: الجامع في تاريخ العلوم عند العرب، منشورات عويدات، بيروت، باريس، الطبعة الثانية 1988.

21- د. فيصل دبدوب: المشاهدات الطبيّة من أبقراط إلى الرازي، مجلّة المورد، المجلّد السادس، دار الحريّة للطباعة، بغداد 1398 هـ/1977 م، العدد الرابع.

22- فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي، نقله من الألمانيّة محمود فهمي حجازي وفهمي أبو الفضل، ط 1،القاهرة 1977 - 1978 أو - Geschichte des Arabishen Shriftums, Leiden 1967 1984, 9 Vol، ج 3.

23-مصطفى شريف العاني: الأواصر المكينة بين الأدب والطبّ، مجلّة المورد، مج 6، ع 4

مجلّة المعرفة: تراث الإسلام، ط 2، الكويت 1988، ج 2، ص 255، مجلّة المورد، مج 6، ع 4، ص

24- مجلّة عالم الفكر، الكويت، مج 9، ع 1، ص 18، د. محمد مرحبا: الجامع في تاريخ العلوم.

25- الحميدي:جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس. تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، ط 1، القاهرة 1952.

26- حاجي خليفة: كشف الظنون عن أساس الكتب والفنون، طبعة وكالة المعارف الجليلة، تركيا عام 1360 هـ/1941 م.

27- خير الدين الزركلي: الأعلام، قاموس تراجم، ط 2، مزيدة ومحلاّة بالخطوط والرسوم. (د. ت) و (د. ن) ج 1.

28- د. سامي حمارنة: الصناعة الطبية في العصر الإسلامي الذهبي، مجلّة عالم الفكر، الكويت، مج 10، ع 02.

29- محمد شاكر الكتبي: فوات الوفيات، تحقيق إحسان عبّاس، دار الثقافة، بيروت، لبنان. طبع على مطابع دار صادر، 1974، مجلّد 3.

30- ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد سيد جاد الحق، ط 2، القاهرة.1966 - 1967 (5 أجزاء)، ج 5

31- السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويّين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 1، القاهرة 1964 - 1965 (جزءان)، ج 1.

32- ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، (د. ت) تحقيق عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، ج 4، باب الطاء، مادّة طبيب.

33- الفيروز أبادي: القاموس المحيط، دار الكتاب العربي، (د. ت) أو بلد أو دار النشر، ج 1.

(1) ابن سينا: القانون في الطبّ، دار صادر، بيروت، طبعة جديدة بالأوفست عن طبعة بولاق (د. ت)، ج .

34- الأب جورج قنواتي: مؤلّفات ابن سينا، جامعة الدول العربيّة، الإدارة الثقافيّة، دائرة المعارف، القاهرة، مصر 1950.

44-وفاضل أحمد الطائي: الكيمياء والصيدلة عند العرب ضمن موسوعة الحضارة العربيّة الإسلاميّة، المجلّد الأوّل.

45- ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار في أخبار ملوك الأمصار، مخطوط 99 م، تاريخ، دار الكتب المصرية بالقاهرة، ج 7، ص 225 نقلا عن بول غاليونجي: ابن النفيس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1983، .

46- يوسف العيش: مخطوطات دار الكتب الظاهرية، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، 1947، ص 306. وانظر سامي حمارنة في: Arabic manuscripts of the national library of

the medicine, Washington, D. C / journal for the history of arabic science ..institute for the history of arabic science, university of aleppo, Syria

47- المقرّي: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عبّاس، دار صادرن بيروت 1388 هـ/1968 م، ج 1، ص 371.

48 -Georges Mounin, Les problèmes théoriques de la traduction, 1ère ed, coll, Tel, Gallimard, Paris 1963, (297 pages.

48- إبراهيم بن مراد: المصطلح الأعجميّ في كتب الطبّ والصيدلة العربيّة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 1، 1985، ج 1.

49- القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق د. أحمد بكير محمود، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت / دار مكتبة الفكر، طرابلس، ليبيا (د. ت)، ج 3.

50- ابن حزم: رسالة في فضل رجال الأندلس، ضمن رسائل ابن حزم، تحقيق د. إحسان عبّاس، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر، ط 1401/1 هـ - 1980 م، ج1.

51- Fi - L - TIBB (Compendio de Medicina), consyo superior de investigaciones ceintificas, instituto de cooperation con El Mundo Arabe, impreso en Espana, Madrid 1992, pp 11 - 39.

- Francisco Franco Sanchez: Evolucion de la medicina en Al-andalus, revue d'etudes Andalouses, Juin 1994.

52- F. Giron Irueste Y. C. Alvarez de Morales: « La faceto médica del granandino Abd Al-Malik B. Habib », Andalucia Islamica, Textos Y Estudios II III (1981 - 1982),

53- إبن البيطار المالقي: (ت. 646 هـ/1248 م): تفسير كتاب دياسقوريدس، تحقيق إبراهيم بن مراد، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان 1989.

54- إبراهيم بن مراد: انتقال مقالات ديوسقريديس إلى الثقافة العربيّة، ترجمة ومراجعة وشرحا ضمن كتابه دراسات في المعجم العربي، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان 1987 م.

53- Asin Palacios: Umdat Al-Tabib, Glosario de Voces romances registrades por un botanico anonimo hispano-musulman (Siglos XI - XII) 1ère ed, Madrid, Grenada 1943.

54- Juan Vernet: La cultura hispanoarabe en oriente y occidente, traduit de l'espagnol en francais par Gabriel Martinez Gros sous le titre: ce que la culture doit aux Arabes d'espagne, sindbad, 1ère ed, Paris 1985.

55- Leclerc, Lucien: La chirurgie d'abulcasis, Paris 1861.

56- Leclerc, Lucien: Histoire de la medecine arabe, Paris 1876, Tome 1, pp 438 - 455.

57- Unver, A.S: Le célèbre chirurgien arabe Aboulkasim Ezzéhraui et son traité de chirurgie, Istambul, 1935.

58- Bloom: L'osteologie d'Abul-Quasim et d'avicenne, Paris 1935.

59- Schahien, A.S: Die geburtshil flish-gynâkologischen kapitel aus des chirurgie des Abulkasim, Med, Diss, Berlin 1937.

60- Navaro Moreno, J: « Abulcasis, El hombre y su obra », B.R.A.C.B.A.U.L, 59, 1948, pp 21 - 48.

61- Goyanes Capdevila, J: « El ingenio tecnico en la cirugia arabigo-espanola », un amplio esunner de la obra quirurgica de Abulcasis, Actas del XV congreso internacional de historia de la medecina (Madrid-Alcala, 22 - 29 de septiembre, 1956), Madrid 1957, Vol 1.

62- C.F.P. Huard et M.D. Gremk: Le premier manuscrit chirurgical turc, Paris 1960.

63- C.F.M. Tabenelli: Albucasi, un chirurgo arabo dell'alto medioevo, Florence 1961.

64- C.F.K. Hamarnech et G. Sonnedecken: « Apharmaceutical view of Abulcasis (Al-Zahrâwi) », in moorish spain, Madison, 1963.

65- Eva Irblich: « La chirurgie de Zahrâwi », (deux volumes, en fac-similé), Graz 1979.

66- Zozaya, Juan: « Instrumentos quirurgicos andalusies », boletin de la asociacion Espanôla de orientalistas, Madrid XX, 1984.

67- Juan Vernet: Ce que la culture doit aux Arabes d'Espagne.

68- أحمد مختار منصور: مجلّة معهد المخطوطات، المجلّد السادس والعشرون، الجزء الثاني (الكويت 1403 هـ/1982 م.

69- ابن أبار: كتاب التكملة لكتاب الصلة، تحقيق كوديرا، مدريد 1887 - 1889 م (جزآن)، ج 1،

70- المراكشي: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، ج 1، تحقيق محمد بن شريفة، دار الثقافة بيروت (د. ت)، ص 389 و ص 513، و ج 6، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة بيروت

71- ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق عبد الله عنان (جزآن)،ط 2،القاهرة 1973،ج 1.

72- Steins Chneider Mortis: Gafiki's verzeichniss ein facher heilmittel, in VAPA, 77 (1879), 1.

73- Sarton, George: Introduction to the history of science, Baltimore, U.S.A. (1927-1948),(3 volumes), vol 2.

74-Leclerc, Lucien: Histoire de la médecine arabe, vol 2.

Dietrich (A) Article: « Al-Ghafiki » dans l'encyclopédie de l'Islam (N° 1, 1 ed): supplément, Leiden, Paris, 1982.

75- Meyerhof, Max: Etude de pharmacologie arabe tirées de manuscrits inédits, in: Bulletin de l'institut d'egypte; III, deux manuscrits illustrés du livres des simples d'Ahmed Al-Ghafiki, vol 23, 1941.

76-Meyerhof: Esquisse d'histoire de la pharmacologie et botanique chez les musulmans d'Espagne; in Al-Andalus, 3 (1935).
77- Francisco (F) Sanchez y Maria Sop CaBello: Muhammad Assafra, el médico y su época.
78 إبراهيم بن مراد: أبو جعفر أحمد الغافقي في كتاب الأدوية المفردة، دراسة في الكتاب وتحقيق لمقدّمته، مجلّة « الصيدلاني العربي »، دمشق، 2، 1982
79- سامي خلف الحمارنة: فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهريّة « الطبّ والصيدلة » ط 1، دمشق 1969 م، ص 172، إبراهيم بن مراد: أبو جعفر أحمد الغافقي في كتاب الأدوية المفردة، دراسة في الكتاب،.
80- إبراهيم بن مراد: المعرب الصوتي عند العلماء المغاربة، ط 1، تونس 1978.
81- إبراهيم بن مراد: المصادر التونسيّة في كتاب الجامع لابن البيطار، مجلّة الحياة الثقافيّة، 1980/08، تونس، ص ص 117 - 158؛ 1980/10.
82- سامي الحمارنة: الصناعة الطبيّة في العصر الإسلامي الذهبي، مجلّة عالم الفكر، مجلّد 10، ع 2، 1979، الكويت.
83- Leclerc, Lucien: « Etudes historiques et philologiques sur Ebn-Beitar », journal Asiatique, N° de juin 1862.
84- J. Vernet: Averroes medico, C. F. las ciencias, 15, 1950.
85- F. Rodriguez Molero: « Un maestro de la medicina arabigo spanola: Averroes », MEAH, 11, 1962..
86- J.Cristoph bürgel: « Averroes contra galenum », in nachrichten der akademie der wissenschaften, N° 9, Gottingen, 1967.
87- E. Torre; Averroes y la ciencia médica: « la doctrina anatomofuncional del 'Colliget' », Madrid, 1974.

88- M. Bouyges: « Note sur les philosophes arabes connus des latins », V, Inventaire des textes arabes d' Averroes dans, MFOB, VII/1, 1922.

89- Alfred El Bustani: Edition photographique du texte arabe [Colliget] du manuscrit du socromonte publiée à larache, 1939.

90- J. Cola Alberich: Influencia de Averroes en los ciencias naturales mediovales », BRSEHN, 1948.

90- H. Gںtje: « Probleme der Colliget forschung », ZMDG, 130, 1980.

91- VazquezdeBenito,concepcion:« CommentarioAverrois ingalernum »,Madrid,C.S.I.CI.H.A.C. 1984 XII.

92- Vazquez de Benito, C: La medicina de Averroes: « comentarios a galeno », Zamora, colegio universitario, 1987.

93- Forneas Besteiro Jose M; Alvarez de Morales, Camilo (eds): Ibn Ruڙd, Kitمb Al-Kulliyat Fil-Tibb, Madrid, Granada, ed. C.S.I.C, 1987.

94- F. Franco Sanchez: Evolucion de la medicina en Al-Andalus.

95- Leclerc, Lucien: Histoire de la medecine arabe, Vol 1, Vol 2

96- H.P.J. Renaud: « Un chirurgien musulman du royaume de Grenade: Muhammad As-Safra », hesperis, Rabat, 1935, T.XX, 1.

97- أبو مروان عبد الملك بن زهر: كتاب التيسير في المداواة والتدبير، تحقيق: الدكتور ميشيل الخوري، تقديم محي الدين صابر، الطبعة الأولى 1403 هـ/1983 م، دار الفكر، دمشق، سورية،

98- الراضي الجازي: علم من أعلام الطب والصيدلة بإفريقية: "إسحاق بن عمران" في "الصيدلي التونسي" (تونس)، ج 13، 1984.